من القصص النبوى

الجزء الأول

تأليف
عبد الرحمن محمد هليّل

مكتبة الإيمان - المنصورة
ت/ ٢٢٥٧٨٨٢

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٢٤٠٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« إهـداء »

إلى الأبناء والإخـوة العاملين في مـجـال الدعوة إلى الله ، أقـدم لهم خلاصـة جهد، استـهدف وجه الله ، وعرض جوانب من سيرة رسـوله المصطفى ، بمنهج غير مسـبوق أبدًا ، وهو القائم على القصـص الصادق ، كأسلوب تأثير سـاحرٍ ، ورائع ومحبّب ، وبلا إفراط ،أو تفريط .

وكلي ثقة في قبـوله ، والأخذ عنه ، وأسأل الله لكم جمـيل العون ، والسداد، والتجرد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف

عبد الرحمن محمد هليّل

ليسانس دار العلوم ١٩٥٤

دبلوم تربية وعلم نفس ١٩٥٥

أول يناير ٢٠٠٥

جناكليس ـ الإسكندرية

« من القصص النديّ للمصطفى النبي »

« المقدمة »

منهج السماء في تناول القصة

بين المنهج وتصويب المسار

المؤلف

عبد الرحمن محمد هليّل

١ - ليسانس دار العلوم ١٩٥٤

٢ - دبلوم تربية وعلم نفس ١٩٥٥

منهج السماء في تناول القصة

١ ـ من يتأمل كتب الله السماوية المنزّلة على بعض أنبيائه ورسله يجد أن القصة قد شغلت فيها حيّزًا كبيرًا . . .

تُرى : هل جرى هذا المنهج على غير أساس؟ أم أنه استهدف غاية محددة وذات قيمة كبيرة ؟ تعالى الله عن العبث ، أو أن تجري أقداره بلا غايات مستهدفة ، أو أن في القصة جوا كريها مرفوضا !!

هناك حكم وأسباب ودوافع ، تحدث عنها مرارا القرآن الكريم ، معجزة المعجزات الخالدات ، بل إن في صدقها الحديث الذي يحكي ، ويقص ، ويروي . .

الحديث الذي يحكي حكاية الأنبياء والرسل. . .

الحديث الذي يقصّ ما وقع منهم ، أو معهم. . .

الحديث الذي يروي تاريخ أمم ، وأحداث شعوب ، وحوادث جماعات. . .

وبهذا الحديث الشهيّ ، والممتع ، والجذاب ، تسكن النفوس ، وتهدأ الخواطر ، ويثبت الإيمان ، وتستقر العبر ، والعظات ، والدروس . . .

٢ ـ وخذوا هذه الآيات شاهدًا ، أو دليلا ، وبرهانا . . .

بسم الله الرحمن الرحيم :

أ ـ ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] .

ب ـ ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف : ٣] .

جـ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف : ١١١] .

٣ ـ قارئي العزيز : قراءة هذه الآيات على مهل ، مع التأمل في مضمونها ،

يطلعك على أسباب عدة للأخذ بمنهج القصة في التناول ، والعرض ، والإمتاع، والمؤانسة ، والتسلية ، والتسرية معا .

فالأخذ بهذا المنهج ،يثبت اليقين ، ويهدئ الروع ، ويشيع العظة والدرس المستفاد . . . والأخذ بهذا المنهج بمثل الحق المرغوب ، والصدق المأمول ، والهدي المنشود ، والرحمة المرتجاة ، والتذكرة التي تنفع وتفيد . . .

أرأيت ثراء الأمثلة التي استشهدنا بها ؟ كيف فصلت ؟ وكيف أبانت ؟ وكيف أقنعت ؟

في هذا القرآن الكريم كل العجب العجيب . . .

فيه الكثير والوفير ، مما تشع آياته ومضات نورانية ، تربط المؤمن بربه ، ونبيه وهديه ، وهداه ، لتكون القصة وليكون الاعتصام ، والاستعصام .

٤ ـ هل لاحظت ؟ وأنت تقرأ في كتاب الله ، معجزة محمد العظيم :

أ ـ أن سورة نوح ، وهي من ٢٨ آية ، وقد حكت قصته مع قومه، قد جاء مضمونها وزيادة في سور أخرى ، مثل « هود » مثلا ، إذ أنها وردت في حوالي ٢٤ آية من ٢٥ إلى ٤٨ . .

ب ـ أن سورة في كتاب الله المعجز والخالد ، تحمل اسم : القصص ، وآياتها ٨٨ منها ٤٦ آية تحكي قصة موسى عليه السلام .

جـ ـ أن ثلاث سور متتابعات تحمل أسماء ثلاثة أنبياء [يونس وهود ويوسف].

د ـ أن ثلاث سور متتابعات ، هي [الشعراء ، والنمل ، والقصص] تحكي قصص عدة أنبياء .

هـ ـ أن عددا رهيبًا من آيات القرآن الكريم ، يحكي هو الآخر قصصهم وقصص أمم معهم .

وأن كل آية على حدة تضع بين يديك واحدة من روائع هذا القصص المشبع.

٥ ـ القرآن الكريم كسائر كتب الله المنزلة على بعض الأنبياء والرسل ، جعل

القصة وسيلة لغاية ، ومقدمة لنتيجة ، ودليلا يملأ البصائر باليقين .

من هنا تحمسنا للقصةوبلا تردد :

أ ـ ومن هنا كان منهجنا الذي أنسنا إليه . . . فلقد جعلنا من هذه المختارات النديّة أضواء تجسد ملامح الشخصية المحمدية ، الثرية بسمات الخير والكمال ، والجمال ، والإجلال . . لتبقى أبد الدهر عطر الحياة ، تمدّها بعطاء القدوة ، والمثل الفريد ، والنموذج المحبب .

ب ـ أرأيتم كيف يكون المنهج الأوّلي لكتاب « السيرة النبوية » وبدون إبطاء أو مكابرة !!!.

جـ ـ أرأيتم كيف مرّوا على القصة كمنهج مرور الكرام فأغفلوها وهمّشوا دورها، فإذا ما ضربوا مثلا بقصة لرسول الله المصطفى ظلوا يدورون حول القديم والمحفوظ والمكرور ، وهذا قصور وتقصير !!!.

هـ ـ لقد عدنا إلى حياة نبي الله قبل البعثة ، وأخذنا من حياته ومواقفه بعد البعثة، وألقينا موفور الضوء وشخصيته الأسوة ، ومن خلال بعض الآيات التي تساعدنا على بلوغ الكمال كمال نأمله ونرجوه ، ونتمناه وإن كان الكمال لصاحب الكمال لله وحده ، بيده السداد ، والفلاح ، وهو الهادي إلى سواء السبيل . . .

٦ ـ قارئي العزيز :

أ ـ بهذه المجموعة القصصية المحمدية والنّدية نكون قد استكملنا نقصا خطيرًا في المكتبة الإسلامية .

ب ـ كما نكون قد صححنا مسار كتاب السيرة الطاهرة ، وبالصورة المشرقة الوضّاءة ، التي حددنا معالمها بوضوح كاف لأولي العلم والبصر ، ومن خلال ما كتبنا في كتب ثلاثة :

(تحت الطبع) :

أ ـ تأملات قرآنية جـ ١ .

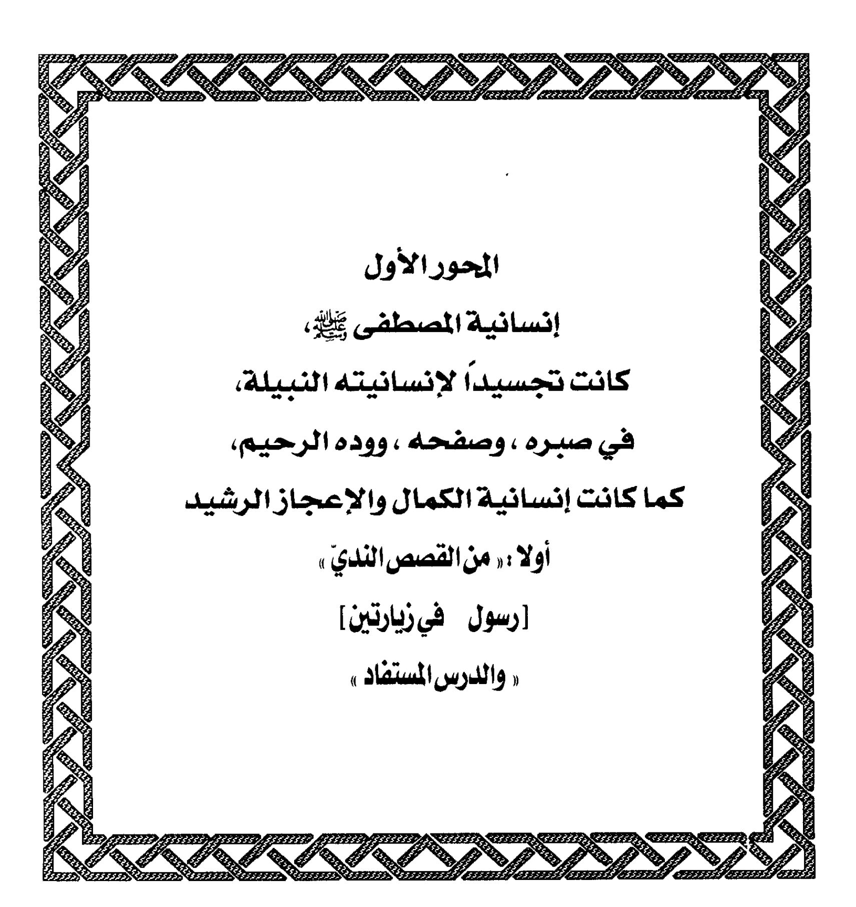
ب ـ الإسلام وطوفان المستجدات .

جـ ـ وبشرية المصطفى سر عظمته .

د ـ وأسأل الله المثوبة على النية ، والأجر على السعي وتجدد العطاء .

المؤلف

عبد الرحمن محمد هليّل



المحور الأول

إنسانية المصطفى ﷺ،

كانت تجسيداً لإنسانيته النبيلة،

في صبره ، وصفحه ، ووده الرحيم،

كما كانت إنسانية الكمال والإعجاز الرشيد

أولا : « من القصص النديّ »

[رسول في زيارتين]

« والدرس المستفاد »

من القصص النديّ

تحكى رواية عن عمر بن الخطاب وعن هذه القصة المحمدية فتقول :

أ ـ خرج رسول الله ﷺ في زيارة للقبور ، وخرجت معـه مجموعة من أصحابه على رأسـهم عمر بن الخـطاب . . فلما وصلناها تركنا ، ثم أخـذ يتخطى المـقابر ، حتى استـقرّ أمام واحدة ، وسرعـان ما بدأ مناجاة من فيهـا ، وببكاء موجع وحزين أبكانا جميعًا ، ثم عاد إلينا فاستقبله عمر متسائلا :

ما الذي أبكاك يا رسول الله ، فأوجعنا وأبكانا ؟

فقال المصطفى : « **أو عسيتم تودون معرفة سر بكائي ؟** »

قالوا : بلى يا رسول الله .

فقال لهم : إن القبر الذي شاهدتموني أبكي وأطيل مناجاته ، قبر أمي ، قبر آمنة بنت وهب ، ثم أضاف حزينا ودموعه تملأ وجهه :

« **لقد استأذنت ربي في زيارة قـبرها فأذن لي ، ثم استأذنته في الاستـغفار لها فلم يأذن لي ،وحينئذ أخذني ما يأخذ الولد على أمه** » .

١ ـ إنها قصـة تؤكد ملامح شخصـيته الدقيـقة ، والوفية ،والبارة ، والرحـيمة والودودة ، وتلك كلها تميز بوضوح أبرز سمات بشريته .

٢ ـ لقد استأذن ربه فـي زيارة قبرها ، فأذن له ، ثم استأذنه في الاسـتغفار فلم يأذن له ، فأخذه من الحزن واللوعة ، والألم بل والحسرة ، ما يحزن الولد على أمه، إشفاقا ولطفا ورقه وحنوًا . . وتلكم هي ملامح الإنسانية المثالية في أبهى صورها.

ب ـ وتذكّرنا هذه الزيارة بزيارة أمه من الرضاعة « حليمة السعدية » له ، بعد أن بعث نبينا ، وبعد زواجه من أم المؤمنين « خـديجة » . . فلقد دق باب البيت مرات، وجاء صـوت القـادم ، بحيث لم تخطئـه أذن رسول الله أبدا أنه صـوت حليـمة . . صوت أمه من الرضاعة وكانت تنادي : أين ولدي؟ . . أين محمد؟ وفتح لها الباب مسرعا مرحبا ، ووصل ترحيبه بها حدًا أدهش « خديجة » فقال لها : وهو يفرش لها

جلبابه لتجلس عليه . . . «إنها أمي . . إنها حليـمة السعدية» . . . فسرّت أم المؤمنين ، وبالغت في الترحيب بها ، إكراما لرسول الله ﷺ ، وسألها المصطفى :

كيف الحال يا أماه؟ وردت في لوعة وأسىً ، حال لا تسرّ يا ولدي ، فلقد جفّ الضرع ، وهلك الزرع ، وبخلت الأرض ، وشـحّت السماء ، ثم أضـافت حزينة ، ومن أجل هذا جئتك يا ولدي . .

وهنا فزع رسول الله وسأل خديجة :

ماذا لديك حتى نعطي أمي ؟

فقالت له : فلتهدأ بالا وخـاطرًا يا رسول الله ، فعندنا الخير كله ، إذ لدينا المال والإبل والشياه ، وابتسم المصطـفى سعيدا برد خديجة ، التي غابت عنهـا ، لتعدّ لها هدية تتناسب وحب الرسول لها .

وتعالوا لنتأمل هذه القصة الإنسانية الرقيقة ، لنأخذ منها درس العظة والعبرة:

١ ـ جسـدت القصـة بوقائعهـا لطف رسول الله ، وبره ، وعطفـه وفاءه ، وإذا كانت القـصة الأولى تدور حول زيارته هو لقـبر أمه « آمنة » فـإن القصة الثـانية تدو حول زيارة أمه من الرضـاعة له . . . فهو في القصتين الابن بين أمـومتين . . جسدت القصة الأخيرة نبل أم المؤمنين « خديجة » وإكـرامها البالغ لأمه من الرضاعة ، تكريما لرسول الله ذاته ، وكسبا لحبه ورضاه ، وتقديرا منها لسابق فضلها عليه .

٢ ـ جسـدت هذه القصـة تواضعـه الذي ضُرب به المثل ، وودّه الـذي عرف به دوما، فهو في القصتين معا صاحب الحنو ، والرحمة ، والشفقة ، والإعزاز المتناهي في العطاء الفيّاض . .

أولا
وكانت المفاجأة الكبرى
يوم العرض على أهل الطائف وثقيف

أ ـ بـــم استقبلـــوا رســـــول الله ؟

ب ـ المصطفى بين الضراعة والدعـــاء .

جـ ـ دواعي دهشة جبريل عـليه السلام .

د ـ وظـــل رســـول الله المثـــل والقدوة .

يوم الخذلان والعدوان

١ ـ عانى المصطفى الكثير والكثير في عام الحزن ، بعد أن فقد أعز مناصر ومعين، السيدة خديجة أم المؤمنين وعمّه أبا طالب .

٢ ـ وصادف حزنه عليهما انقطاع الوحي عنه لفترة طالت حتى أفزعته ، فلقد اشتاق إليه ، بلسما لجراحه ، وتسرية له وسلوى واستكمالا للإبلاغ برسالة حُمّل أمانتها . .

٣ ـ وتصور رسول الله ﷺ أنّ عرض نفسه على ثقيف والطائف ربما كان أفضل عزاء على ما نزل به ، وظنّ أنهم سيرحبون به ، نبيا ورسولا ولكن هيهات.

لقد استقبلوه شر استقبال ، حتى أغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، وصغارهم فطاردوه بالحجارة حتى سالت دمًا ، وفي وهج، الشمس ولهيب الجو ، التمس الظل والراحة جدار بُستان ليهودي ووسط اللوعة والمرارة والأسى استغرق في مناجاةٍ ودعاء، مُفوضًا الأمر لله وحده فهو الهادي دومًا إلى سواءِ السبيل . . . .

وسجَّلَ التاريخُ أبلغ ضراعةٍ وأحر دعاء : ـ

« اللهم إني أشكو إليك صعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المُستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي . اللهم إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أنْ ينزل بي سخطك ، أو يحلّ عليّ غضبك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

٥ ـ أرأيتم أبلغ من هذه الكلمات التي تزلزل الجبل ؟

أو رأيتم أجمل من هذا الدعاء حين نزول الشدة ؟

وحينما تضغط الضرورة وحينما تقسو الحياة ؟

أو رأيتم شكوى تصلُ إلى القلب فور طلبها أو عرضها كشكوى رسول الله ﷺ ؟

ضراعته ﷺ هـنا مشدودة في جوهرها إلى عام الحزن عـام ضعف القوة ، وقلة الحيلة والهوان على الناس . . . .

ودعاؤه نابعٌ من قـناعته التـامة بـأن رب المسـتضعـفين سيـحمـيه مـن السخط والغضب ، وسـيمده بـالحول والقوة ، وسـيمكن له في الأرض وسيكـتب له النصر المؤزر والمبين . . . .

ويستـجيب الله لضراعتـه ودعائه ، وينزل عليه جبـريل ليعرض طاقتـه كلها في خدمـة الحبـيب محـمد وإنصـافه ورضـاه ، وتتغلب الفطرة الودودة ، والصـابرة ، والمتسامـحة ، ليقول لجبـريل الذي توعَّد من آذوه وآلموه : « **عـسى الله أن يُخـرج من أصلابهم من يعبده ولا يُشرك به أحدًا** » .

ويقول جبريل : صدق من سمَّاك الرؤوف الرحيم . . .

وتعالوا بنا نحلل ونُلخِّص ونُحدد معًا معالم هذا اليوم اللعين !!!

لقد خـاب الظن في أهل ثقيف والطائف ، فقـد بالغوا في سوء اللقـاء ، وقُبح الرد ، ،وبلا جريرة !!!

وأغروا سفهاءهم برسول الله ﷺ ، فطاردوه وآذوه ظلمًا وعدوانًا !!!

ثم ـ وبلا قصدٍ أو وعى بالغوا في إيلامه وإغضابه !!!

وهكذا ارتبط دعاء رسـول الله ﷺ هذا بتجاوزهم وإضـرارهم ، وسيبـقى مدى الدهر يتردد سخطًا وخطيئة وإثمًا . . .

تُرى : ماذا بقـى لمحمد النبي بـعد ضعف القـوة ، وقلة الحيلة ، والهـوان على الناس ؟ . . .

تُرى : ومم يستجيرُ بعدَ هذا الموقف الدامي ، والعنيف والجارح ؟ . . .

تُرى : وكيف يعفو ، ويصفح ، ويتسامح ، بعد أنْ كذبوه ، وطاردوه ، وردوه ظالمين مُعتدين ؟

لقد وصل في عفوه ، وصفحه ، وتسامـحه ، حدًا أذهل جبريلُ عليه السلام ،

وأنْ أثار إعجابه . . .

« صدق من سماك الرؤوف الرحيم » .

كلمات محدودات ، ولكنها تفيض بطوفان الكمال والجمال أو القدوة والمثل السامي . . .

وإنها لصفات نبل ، وفضل ، وسبق ، وامتياز ، وتفرد عرف بها ، وعرفت به . . .

وصلى الله عليه في الأولين والآخرين . . .

وصلى عليه في كل وقت ، أو موقف ، وحين ، وصلاة على المرسلين والحمد لله رب العالمين . . .

* * *

أبو سفيان بن حرب

١ ـ طراز عـجيب ممـن حـاربوا الإسـلام ثم أسلموا .

٢ ـ رصـيـد العـداء والحـقـد على شـخص المصطفى ﷺ .

٣ ـ كيف ؟ ومتى أسلم ؟

٤ ـ ﴿ عَسَى اللَّهُ أن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتـحنة : ٧] وصدق قول الله العظيم . « كيف » .

مع أبي سفيان بن حرب

ما من شك أبدًا أن أبا سفيان بن حرب كـان يعاني من الحقد والحسد لرسول الله ﷺ شخصيًا ، ولأمرٍ يريده الله يكون هذا الطاغية سـببًا مباشرًا في غزوة بدر الكبرى أولى غزوات رسول الله ، كما كان ولنفس الأمر داعية استسلام لأهل مكة ، بعد أن دخل في أمان العباس يوم فـتحها ، وشاهد عن قرب جيش محـمد ، وقد أحاط بها من كل جهةٍ ، ولقد أفـصح عما يدور في خاطره حينما قـال للعباس : ما لملك ابن أخيك قد زادً وفاض ؟ فيرد عليه بقوله : ليس ملكا أبدًا إنما هي النبوة [١] .

٢ـ وحين نضع هذا الحديث الذي جرى على لسـانه يوم فتح مكة، . . . موضع الدراسة ، ومع سابق وصـفه لرسول الله ﷺ « بأنه فحل لا تقرع أنفـه » نخرج بهذا الحكم عليه ، وبلا تجاوز إطلاقًا .

٣ ـ ومع فيض الحـقد والحـسد ، يبدو مكابـرًا عنيدًا يوم فتح مكـة وحين سأله رسول الله « أما آن لأبي سفيان أن يشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله »، فيجيب أشهد بالأولى أما الثانية ففي نفسي منها شيء [٢]، أرأيت غطرسة كهذه أبدًا؟ لقد استخزى وهـان على نفسه وغيره يوم فتح مكة حينما أعلن إسـلامه حتى بعد أن أشبع رسول الله ﷺ غـروره الطائش «ومظهريته» المتدنية في هذا اليـوم وكطلب عمه العـباس: « **من دخل المسجد الحرام فهـو آمن ، ومن لزم بيته فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن** » .

إن تاريخ أبي سفـيان مع رسـول الله والدعوة ، ظلت كـفته تميل ناحـية الحـقد والحسد على شخص المصطفى ﷺ . . .

٤ ـ وتقول كتب السيرة :

إن أبا سفيان كان خصمًا لدودًا لدين الله قبل إسلامه ، فهو أحد المطعمين لجيش أعداء الله يوم بدر ، وهو الـذى استأجـر بماله آلاف الأحابيس للمـشاركة فى قـتال الرسول يوم أحد [٣] !!!

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري ص ١٣٧طبعة بيروت .

(٢) المنهل الحديث في شرح الحديث .

(٣) أسباب النزول للنيسابوري ص٣١٧ بيروت طبعة.

وهل ينسى أحدٌ دور زوجه « هـند بنت عتبة » في التمـثيل القبيح أو المُبـالغ فيه بجسد عم رسـول الله حمزة سيـد الشهداء ؟ وإنْ أسلمت يوم إسلام زوجـها ، فهي التي أغضبت الرسول بتوليتها على مُبايـعة النساء !!! حتى ليخيل للمرء أن الحقد قد تجسد في هذه الأسرة الغريبة والشاردة ، والعنيدة ، والمُتغطرسة !!!

ولكنها والإسلام قد حصَّنت نفسها ودمها ومالها ، ويا سبحان الله ؟ !!!

٥ ـ لقد دخلت « أم حبـيبة بنت أبي سفيـان في دين الله عن صدق يقين وتدين وإيمان ، وقبل أبويها بكثيـر ، وحسن إسلامها ، وتزوجها رسـول الله لتصبح واحدة من أمهات المُؤمنين ، وليـصدق قول الله تعالى: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ٧] .

وتقول كتب التفسير ومراجع السيرة :

إن أبا سفيان اتجـه إلى المدينة قبل إسلامه ، وليزور ابنته أم المؤمنين « أم حـبيبة » وحاول الجلوس في بيتها على شيء ما من ملابس رسول الله ﷺ ، فجذبتها من يده رافضة مـستنكرة ، وكان يظنُّ أن صلته بهـا فوق صلتها برسول الله ، فـصححت له بعض ما اختلط عليه فهمه ، فكان درسًا يستأهلُ التأمل وإعمال الفكر . . .

وتذكرنا القصة بقصة أسمـاء بنت أبي بكرٍ الصديق حينما رفضت هدايا وود أمها إليهـا حينما جاءتهـا زائرة من مكة ، وراجعت في الأمرِ أم المؤمنين عـائشة ، والتي نقلت إليها مشـروعية برّها بأمها ـ وإن كانت على غيـر دينها ـ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٩] .

٦ ـ ونقف عند جملتين من ألفاظ محدودة ، كـان لهما فعل السحر في مكة يوم فتحها .

أ ـ « ومن دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن » ...

فلقـد تساوت دلالتـها مع دلالة قـول رسول الله ﷺ :« **من دخل الكعـبة فـهو آمن**» . . . ولقد أوحت إلى طغاة مكة ، وعمد جاهليتها بأن الإسلام قد انتصر ، وأن

الكفر قد انحسر وإلى غير رجعة ، فلقد أسلم أبو سفيان بعد غطرسة ومكابرة في هذا اليوم العظيم .

وحق لغيره أن يسير على هداه ، فهو في نظرهم قدوة ومثل !!!

هي جملة أشبهت موقف أبي سفيان ؛ ليدخل دين الله بارتياحٍ أو كبرياء !!!

ب ـ « اذهبوا فأنتم الطلقاء » :

جملة من ثلاث كلمات دكت حصون الجاهلية في مكة يوم فتحها . . . وإنها لمحمدٌ رسول الله الذي مال إلى الفطرة ، ولجأ بها إلى واحة الطبيعة المعهودة ، والمعروفة لأهلها ، حتى قبل أنْ يبعث نبيّا . . . إنه كان الأخ ، وابن الأخ الكريم ، كما وصفوه ، وإنه محمدٌ البار ، والصادق ، والأمين ، والشيء من معدنه لا يُستغرب . . . .

٧ ـ أبو سفيان بن حرب : كان اسمًا على مُسمى ، وكان شوكة قبل إسلامه ، ثم كان الصحابي بعد إسلامه ، وهذا شرف كبير يتطلَّعُ إليه الرجل الذي ذاب في الإسلام كما ذاب غيره ، فاكتسَب مكانة ، وحظوة ، ومنزلة ، ربما خففت من غلواء حقد وحسد ، ذهبا إلى غير رجعة . . .

* * *

وكان رسول يستشير أصحابه

« في أسرى بدر »

أ ـ بم أشـار أبو بكر وعـمر وعـبـد الله بن رواحة ؟

ب ـ بم عاتب الله رسوله بشأن الأسرى ؟

جـ ـ . . . وكان يوم المشـورة ، ويوم الفوز المبين . . .

مـــع أســـرى بـــدر

أ ـ وصدق وعد الله بالـنصر في بدر وعلى الرغم من بطش كفارِ مكـة ، وكثرة عددهم ، وعـتادهم ، وقدراتهم ، فـقد قتل المسـلمون منهم سبـعين ، وأخذوا من أسراهم سبعين أيضًا . . .

وتُرك الميـدان كله حتى يتـفهَّم الكثـيرون أسـرار هذا النصر المبين ومـا وراءه من أسباب . . .

لقد خرج المؤمنون من مكة ضعافًا مهاجـرين ، فكيف ينتصرون على جيشها بعد عامين اثنين ؟ كيف تسنى لهم مُـواجهة عدوهم الغادر ، والظالم ، والعنيـد الجبار ؟ هل كانت مُغامرة محسوبة ؟ أم كانت مُغامرة ومُخاطرة وبلا حساب ؟

شاء الله لهـذا الحدث الرهيب أن يحدث ، وجاءت سـورة الأنفال بغالبيـة آياتها تفسر، وتعلل ، وتشـرِّع ، ولنحفظ جميعًـا دواعي حدوث هذا الحدث ، الذي زلزل مكة وأدمى قلوب زعمائها .

أ ـ ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً .

ب ـ ليقطع دابر الكافرين .

جـ ـ ليحق الحق ويبطل الباطل .

د ـ لتطمئن بها قلوب المؤمنين .

هـ ـ ليميز الله الخبيث من الطيب .

و ـ ليهلك من هلك عن بينة ، وليحيا من حي عن بينة مثلاً . . .

ب ـ واستشار رسول الله صحابته بشأن الأسرى :

أشار أبو بكرٍ الصـديق بالعفو والافـتداء قائلاً : أهلك وقـرابتك يا رسول الله ، فعسى الله أن يهـديهم ليكونوا لك عضدًا ، وعسى أن يخرج من أصـلابهم من يعبد

الله ولا يشرك به أحدًا أبدًا . . .

وأشار عمـر باستئصـال شأفتهـم وقتلهم ، والشرّ بالشرّ والبـادي أظلم ، فلقد تجاوزوا بظلمهم كل حـدود الشفاعة والعفو ، وقد مكن الله لنبـيه منهم ، وبعد طول عذاب وتعذيب وكراهية وعدوان . . .

وأشار عبد الله بن رواحة بإدخالهم واديا به الكثير من الحطب ، وإشعال نار الثأر فيهم حتى يهلكوا . . . وغاب النبي حتى عاد وهو يبتسم قائلاً :

« **إن الله ليلين قلوب رجـال فيـه ، حـتى يكونوا ألين من اللبن ، وإن الله ليشـدد قلوب رجال فيه حـتى تكون أشد من الحجارة** »، ثم التفت إلى الصديق قائلاً : « **إن مثلك يا أبا بكر كـمثل إبراهيم إذ قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٣٦] **ومثلك مثل عيسى يا أبا بكر إذ قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾** [المائدة: ١١٨].

ثم التفت إلى عمر قائلاً : « **ومثلك يا عمر كـمثل موسى إذ قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾** [يونس: ٨٨] ... **ومثلك يا ابن الخطاب مثل نوح إذ قال : ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾** [نوح: ٢٦، ٢٧] .

ثم نظر المصطفى ناحية الأسرى . . وكان من بينهم عمه العباس قائلاً له بحسم: « **أنتم اليوم عـالة، أنتم اليوم عـالة ،فلا ينقلب اليـوم منكم أحدًا إلا بفـداء أو ضرب عنق**»..

وهنا نزل وحي الله مُعاتبًا رسوله على العفو والافتداء : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٧ ، ٦٨] (١) .

وبكى المصطفى بكاءً كله الألم واللوعـة ، فلقد شعر بندمٍ أليم ، ولكن هـيهات

(١) أسباب النزول للنيسابوري ص ١٧٩ طبعة بيروت .

أن يجدي الندم . . .

يقول الفاروق عمر بن الخطاب : « وذهبت في اليوم التالي إلى مجلس رسول الله فوجدته يبكي ، ووجدت أبا بكر يبكي لبكائه وسألته ﷺ : ما الذي أبكاك يا رسول الله وأبكى معك الصديق ؟ فقرأ عليّ ما نزل بشأن الأسرى (١) .

جـ ـ يقول الكلبيّ : لما نزل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٧٠ : الأنفال] .

تأكد لدينا أن هذه الآية نزلت في « العباس بن عبد المطلب » عم رسول الله وكان من بين الأسرى ، وكان قد خرج من مكة إلى بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب ، شاء أن يصرفها في إطعام جيش مكة ؛ ولقد صادر رسول الله ـ لصالح المؤمنين ـ هذا الذهب قائلاً لعمه : « أما شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا » . . وكان هذا هو قوله الذي ردّ به على العبّاس ، حينما طلب ذهبه فداءً له فرفضه المصطفى ، إلى أن افتداه بن أخيه« عقيل بن أبي طالب » بعشرين أوقية من الفضة ، فقال العباس : يا محمد لقد تركتني والله أسأل قريشًا بكفي والناس ما بقيت .

فقال نبي الله :« **وأين الذهب الذي دفعته إلى « أم الفضل » فخرجت إلى بدر وقلت لها : إن حدث بي حدث في وجهي هذا** ـ يقصد خروجه إلى بدر لقتال الرسول ﷺ ـ **فهو لك والفضل ، ولعبد الله** » .

قال العباس :وأصبت بدهشة ، إذ أن هذا هو ما حدث فعلاً ، ولكن لم يرني أو يسمعني بشر . . . فسألته : من أخبرك هذا ؟ فقال نبي الله : « ربّي » . . فقال العبّاس : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . . . ويعلّق العبّاس على ما حدث كله بقوله:ولقد أعطاني الله خيرًا مما أُخذ مني : عشرين عبدًا كلهم يضربُ بمالٍ كثيرٍ، وإني لأطمع في العفو والمغفرة (٢) .

ء ـ وبكل المقاييس والمعايير ما كان هناك من يتصوّر حدوث ما حدث في بدر ،

(١) رواه مسلم . (٢) أسباب النزول للنيسابوري ص ١٨١ طبعة بيروت .

إذ كان كله مجرد انبهار وإعجاز ودهشة . . .

فرسول الله يســتغرق في دراعته لربه ، فمــا كان من الله الحكيم إلا أنْ يُطمئنه ، وكف الحصى الذي قد ألـقى به في وجوه مُقاتلي مكة قد أصـاب عيونهم جمـيعا ، وأراه مصارع الطغاة الكفـرة ، ولقد قُتل منهم سبعون وأســر منهم سبعون ، ولنا كل العرب في كل مكان قـصة بدر ، لتكون تصديقًا لوعد الله بـالفوز المُبين ، وكيف لا وملائكة الله تحارب مع رسول الله . . ؟

٦٧«من القصص النديّ»

خولة وزوجها أوس بن الصامت

١ ـ شكوى ورجاء وتضرُّعْ

٢ ـ وهبط جبريل على رسول الله

٣ ـ من أسرار سورة المجادلة

قصة المجادلة كما ترويها أم المؤمنين عائشة (١)

أ ـ قالت ابنة الصديق : لقد هزّت شكواها أرجـاء بيتي، ثم أضافت قولها : ـ تبارك الذي وسع كل شيء علمًا ، فلقد كنت أســمع وأنا في بيتي كلام « خولة بنت ثعلبة » ويخفى علـيّ بعضه ، وهي تشتكي زوجهـا « أوس بن الصامت » إلى رسول الله وهي تقول : ـ يا رسول الله بعد أن أبلى شبابي ،ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سنّي ، وانقطع ولدي ، يظاهر منّي !!! اللهم إني أشكوه إليك !!!

ب ـ قال « أنس بن مالـك » ، راوي الحديث عنها : فما بـرحت تجادل الرسول في أمـرها حـتى نزل الوحي بمطلع المُجـادلة وآية الـظهـار [من الآية الأولى وحـتى الرابعة من المُجادلة] .

وهنا استدعى الرسول المصطفى ﷺ « أوس بن الصامت » ،وكان فقيرًا عجوزًا، وقال له : **«اعتق رقبة»** فقال لرسول الله : ما لي بذلك قدرة :

فقال له رسول الله : « **صم شهرين متتابعين من قبل أن تتماسا**» . .

قال أوس : إنى إذا لم آكل كل يوم فإنى أجد بصرى فى تعب شديد.

فقال له رسول الله : « **فأطعم ستين مسكينا** » .

قـال أوس : لا أجـد إلا أن تعـينني منك بعـون وصـلة ، فـضـحك المصطفى والحاضرون .

جـ ـ وقال له «سأعينك» ثم أردف القول : « **سأعينك بخمسة عشر صاعًا**» ، ثم جمع الصحابة الباقي ، والله غفورٌ رحيم . .

وفي رواية أخرى لأحداث القصة :

أ ـ أن « أوس بن الصامت » قال لامرأته حين طلبها لفراشة فأبت ، « أنت عليّ كظهرِ أمي » ثم خرج وعاد وتلطّفَ معهـا فغضبت ، وذهبت إلى رسول الله لتشكوه ولتعرف رأي الدين في قوله لها . .

(١) أسباب النزول للنيسابورى طبعة بيروت .

ب ـ فلما عرضت شكواها ، وسألت الرسول رأيه ، فقال لها : ما أظنك إلاّ قد طُلّقت منه ، فانتحبت وعلا صوتها ، وتكرر سؤالها لرسول الله باكيةً حزينة :

مـاذا ترى يا رسـول الله ؟ لقـد ظاهر منّي بعـد أن وهن عظمي ، وكـبـر سنّي وانقطع ولدى !!! سـل ربك يا رسـول الله الرأي والحل ، فـإن لي منه أولادًا، إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إليّ جاعوا ،اللهم إني أشكو إليك زوجي !!!

جـ ـ وهنا نزل جبريل على رسول الله بمطلع السـورة وحتى آية الظهار [عد إلى كتابنا . . تأملات قرآنية] .

ولنقف معا لتأمل سورة المجادلة :

١ ـ هي السورة الوحيـدة في كتاب الله ، التي ورد لفظ الجلالة في جـميع آياتها بلا استـثناء أبدا ، وكأنه إشارة ضمنيـة إلى لطف الله « بخولة بنت ثعلبة » ورعـايته لها، ووقوفه إلى جانبها . .

٢ ـ إن آية الظهار وقـد صححت مسـار التصور السـابق بأنه طلاق ، ثم جاءت الآية بالكفارة واضحة محددة ، وحتى تشفع لصاحبها عند خالقه .

٣ ـ إنها قد بدأت آياتها « بقد » وما تشعّه من يقين ، وصدق ، وثبات إيمان .

٤ ـ أن لفظ الجـلالة الذي تردد في جـميع آياتهـا (٢٢ آية) قـد تردد في الآية الأولى أربع مرات ، وفي الآية الأخيرة خـمس مرات ، وأنه ورد ٣٩ مرة في السورة كلها، ولك أن تتساءل معي عن السر والواقع وراء هذا الحشد العجيب والمدهش.

وحتى نقولها صادقة خالصة من القلب المؤمن. [يا سبحان الله] .

وبعد : فهل نقول : إن محنة « خولة » أو « خويلة » كما ورد في بعض مراجع أسبـاب النزول ، كانت صاحـبة « فضل في تشـريع للظهار ، الذي كان منتـشرًا في الجاهلية وحرّمه الإسلام ، أم نقول : إن هذه المحنـة ، قد خلّدت قصتها ، وجعلت منها عظة وعبرة وشهرة لهـا ولزوجها « أوس بن الصامت » والذي أضحك المصطفى وصحابته من ردوده .

ونقول نحن : قد يكون هذا ، أو ذاك ، ولكنه ـ أولا وأخيرًا الارتباط بمشيئة الله وإرادته إذ لا راد لهما ؛ وصولا إلى المسـتهدفات الربانية وغاياتها وسـبحانه وحده ، فهو الحكيم الخبير .

ثم كان فتح مكة

أ ـ ماذا بعد نقض العهد ؟

ب ـ كيف تم هذا الفتح ؟

جـ ـ دور أبي سفيان بن حرب .

د ـ قصة الطلقاء .

هـ ـ لم عاد النبي إلى المدينة ؟

وأشرقت الأرض بنور ربها يوم فتحت مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد : ١ ، ٢] يجمع المفسرون على أن الآيتين تمثلان وعدا من الله لرسوله بفتح مكة التي فاض طغيانها وظلمها ، والتي طاردت أهلوها ظلما وعدوانا .

إنه وعد طالما تمنى المصطفى تحقيقه بعد أن طفح الكيل ، وبعد أن نقض العهد، ووقع الكيد والغدر ، وهل ينسى الرسول ما فعلوا به وأصحابه ؟

أو ينسى يوم أن عرض نفسه على ثقيف والطائف ؟

أو ينسى بكاءه وضراعته وشكواه لربه في هذا اليوم الكئيب :

« اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس» (١).

وكيف ينسى المصطفى يوم الهجرة ؟ ورصيده من المخاوف ، أو المحاذير، أو المكاره الضاغطة ، والآخذة بالألباب !!! لم يكتفوا بمطاردته ، بل أعدوا المكافأة لمن يمسك به ، أو يعثر عليه حيا أو ميتًا !!! ويا سبحان الله يعود إليهم ، وبعد سنوات معدودات من هجرته غازيًا وفاتحا .

وتنقلب المعايير ، وقد أحاط جيشه الكبير بمكة ، ويذهب طاغية الطغاة « أبو سفيان بن حرب » ليستطلع الخبر ، فيملأ قلبه الرعب والخوف والفزع ، ومن لأهل مكة يومئذ معين ومنقذ؟ لقد عاد محمد إليها، محمد الذي هاجر وصاحبه خفية فاتحا وبجيش لا يهزم أبدًا ، وأخذ العباس أبا سفيان في أمانه وجواره ، وأطلعه على إمكانات الجيش الغازي ، ففار دمه من الغيظ ، وخرجت على لسانه كلمات لها دويّ الطبول حقدًا وحسدًا :

ما لملك ابن أخيك قد زاد وفاض ؟ فيرده العباس إلى صحيح القول: إنها النبوة

(١) المنهل الحديث جـ٣ .

يا أبا سفيان وليست الملك أبدًا!!

ويذهب به العباس إلى رسول الله الذي يسأله :

« **أما آن لأبي سفيان أن يدخل الإسلام ؟ أما آن له أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ؟** » .

ويرد الحاقد الكـاره ، في تحجر ، وتبلد وخزي وبرود ، أشـهد بالأولى ، وأما الثانية ففي النفس منها شيء !!!

يريد أن يقـول : إنني أشهـد فعـلا بوحدانيـة الله ،ولكنني لا أقرّ لك بالرسـالة والنبوة، وخـسئ الطاغيـة الذي أعمـاه شيطانه وهواه . . . ولكنه بعـد لحظات يعلن إسلامه واستسلامه .

لقد سبق له أن وصف المصطفى بقوله :

« ذلك فحل لا تقرع أنفه » (١) .

كأنه يريد القول بأن رسـول الله لديه من العزة والمنعة ، ما يسقط مسـاواته بغيره على الإطلاق.

ويتـخاذل الطاغـية ، ويقـول العبـاس لرسول الله : إن أبا سـفيـان رجل يحب الفخر، فاجعل له منه نصيبًا يا رسول الله . . . ويرد الرسول : « **ألا فليكن النداء في أهل مكة : من دخل بيت الله الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..** » .

ويعود الطاغـية إلى أهل مكة ، فـيخبـرهم بعجزهم عن صـد محمـد أو جيش محمد ، وليكون الهوان والاستسلام التام .

ينادي المصطفى قواد جـيشه الذي تحـول إلى أربعة جيـوش ، ولكل قائده ومكانه، طالبا منهم جميعًا عدم استـخدام السيوف إلا في ضرورة الدفاع عن النفس فقط، ولكن « خالد بن الوليد » يتجوز بشكل يزعج رسول الله حتى يعلن البراءة مما فعل خالد.

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري ص ٣١٥ ، طبعة بيروت .

ويدخل رسول الله ﷺ مكة شبه ساجد على ظهر دابته ، شكرًا لله ، واعترافا بفضله ، وبرّه ، وسداده .

ويتجه إلى الكعبة ويطلب تطهيرها من أوثان الجاهلية وأصنامها ومعبوداتها ، وتحين أول صلاة ليأمر « بلال بن رباح » بأن يؤذن على سطحها ، وليصل صوته إلى أبعد مداه .

كان فتح مكة في العام الثامن من هجرة نبي الله ، وكان يوم عيد للمهاجرين والأنصار معًا ، وكان يوم هلع ورعب وقلقٍ وخزي لطغاة مكة، والذين يتوجسون الخوف وينتظرون ساعة الحساب .

وناداهم المصطفى الودود الرحمة ، والودود الحنون الكريم : « **يا أهل مكة ، ما تظنون أنى فاعل بكم اليوم ؟**» فأجابوه : أخ كريم ، وابن أخ كريم . . . قال : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

قارئي العزيز :

أو يتسع صدرها ، لما اتسع له صدر محمد ؟ يقينًا. لا وألف لا ، لقد عفا ، وسامح، ورحم ، فدخل من كانوا أعداءه في دينه أفواجا .

وهكذا نامت جراح ، وماتت آلام ، ومضت ذكريات ، وليستمر موكب الإسلام في خطاه تحدوه بركات محمد ،وصبر محمد ، وكرامة محمد ، وعفوه الصافي ، لتظل شمس الإسلام مشرقة على الدوام ، وبعد أسبوعين من هذا الفتح يعود المصطفى إلى المدينة التي اختارها فاختارته عن يقين ، وصدق وإيمان .

ولقد يسأل سائل : لما عاد المصطفى ﷺ إلى المدينة بعد فتح مكة التي وصفها يوم هجرته بأنها أحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إلى نفسه . ولولا أخرجه منها قومه ، ما خرج منها أبدا؟

والجواب : أن مكة لها في مشاعره كل الحب ، وكل الإعزاز ، فهي الوطن وهي النشأة ، وهي الوحي ، وهي الرسالة ، ولكنه أخرج منها ، ولم يكن خروج إرادة أو

اختيار بقـدر ما كان خروج ظلم ، وتجاوز ، وكراهية ، وعـداء ، ومطاردة قاسية لا ترحم .

هل ينسى المصطفى ﷺ أن المدينة هي الأنصار ، وهي النصفة ، وهي المؤاخاة ، وهي الإيثار ؟

قد يـكون هذا ، وقد يكون الولاء ، والوفـاء لمن أحبـوا في الله ، وضحـوا في الله، وجاهدوا ونصروا في الله أيضا .

وإنها لسمـات وخصائص للأنصار ـ دون سواهم ـ فـليكن جوار رسول الله لهم ثمن هذا كله ، ونعم الجوار، جوار المصطفى المختار .

* * *

أ ـ كيف ومتى أسلم « وحشي » قاتل حمزة.

ب ـ من استأجره أو أغراه ؟ وما المقابل ؟

جـ ـ ونفذ قـضاء الله في سيـد الشهداء حـمزة البطل الجسور .

د ـ وخرج بعد إسلامه لقـتل مسيلمة ، وتم له ما أراد لحكمة يعلمها الله .

كيف ومتى أسلم وحشي قاتل حمزة؟

تقول كتب السيرة وأسباب النزول :

إن هذا القاتل كان عبدًا مملوكا ، لمن فـقد أعزّ أقاربه يوم بدر ، فأغراه بالحرية إن هو قتل حمـزة يوم أحد . . كما تروي بعض المراجع : أن « هند بنت عتـبة » زوجة «أبي سفيان بن حرب » قد استأجرته لذلك ، وبعد أن قُتل أكثر من اثنين من أهلها .

وعلى أي حال ، فلقد كان وحشي هذا عبـدا يبحث عن وسيلة للتحرر ، وقُدّر له أن يحقق هدفه يوم أحد !!!

ولقد حكى قصة استشهاد سيد الشهداء فقال : واحتميت بشجر أو حجر ، حتى جاء يهدّ جيش مكة هدًا ، وبسيف يعـرف جيدًا طريقه إلى الرؤوس ، وما إن تمكنت منه وهو مقبل عليّ حتى أمسكت بحربتي التي أجيـد استخدامها ، وهززتها في يدي حتى اطمأننت عليها، وسـرعان ما استقرت في شفته، لتختـرق جسده، وتستقر بين فـخذيه، فـأثارت حمـيتـه في طلبي ، ولكن الموت عـاجله ، وانتظرت حـتى لفظ أنفاسه، فذهبت إليه لأسحب حـربتي ، ثم انصرفت إلى مؤخرة الجيش ، إذ لم يكن لي من هدف سواه ، ولما عدنا حصلت عـلى حريتي ، ومرّت الأيام وأنا هادئ البال في مكة ، حتى تمّ لـلرسول فتـحها ، فـهربت إلى الطائف وثقـيف ، وعشت هناك خوفا من مطاردتي وقتلي .

ولما أعدّوا وفدا لهم ليفاوض نبي الله خرجت مع هذا الوفـد ملثّما ، فجئناه بعد صلاة الفجر ، وما إن فرغ من صلاته ، حتى اقتربت منه قائلا :

أنا في جـوارك يا رسول الله ، حـتى أسمع كـلامه ، وعرفـني فور أن كشـفت وجهي، وظهر الألم في وجهه فقال :«**أنت وحشيّ قاتل حمزة يوم أحد ؟**» فرددت : نعم ولقـد حدث مـا حدثوك به ، فـقال ﷺ : « **كم كنت أودّ أن ألقـاك على غيـر جوار، أما وقد أتيت مستجيراً ، فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله** » .

يقول وحشيّ الحبشي : قلت : يا رسول الله ، لقد أشركت وكفرت وسرقت وزنيت ، وقتلت ، فهل يقبل الله لي توبة ؟

وهنا تغشاه الوحي ، لينزل جبريل ـ عليه السلام ـ بقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان : ٦٨] .

وطلبني رسول الله لأستمع إلى ما نزل عليه ، فقلت : أرى شرطًا يا رسول الله، فلعلّي لا أعمل صالحًا وأنا في جوارك حتى أسمع .

ثم نزل الوحي بقول الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] وأرسل نبي الله في طلبي لأسمع، و لما سمعت قلت : ولعلي ممّن لا يشاء !!! وأنا في جوارك حتى أسمع .

ثم نزل وحي الله بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وهنا قلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ونبيّ الله .

وأصبحت واحدا من المسلمين ، يقول وحشي : وطلب مني المصطفى أن أغيّب وجهي عنه ، فآلمني هذا ، ثم يضيف : ومرت الأيام مسرعة ،وتوفي رسول الله ، وجاء « أبو بكر الصديق » كخليفة لرسول الله ، ثم نادى في الناس لإعداد جيش لقتال مسيلمة الكذّاب فقلت : والله لأخرجنّ مع هذا الجيش ـ ومن هذا الذي يعلم الغيب ؟ فلقد تكون نهايته على يديّ ، وبحربتي التي وجهتها يوم أحد إلى حمزة ، وبذلك أكفر عن خطيئتي ، وكان لي ما أردت فما إن اطمأننت إلى حربتى ، وأنا أهزّ بها يدي ، حتى وجهتها إلى عدو الله فسقط قتيلا ، غير أن صحابيًا آخر أجهز عليه بسيفه [ويا سبحان الله] . . رواه البخاري [١] .

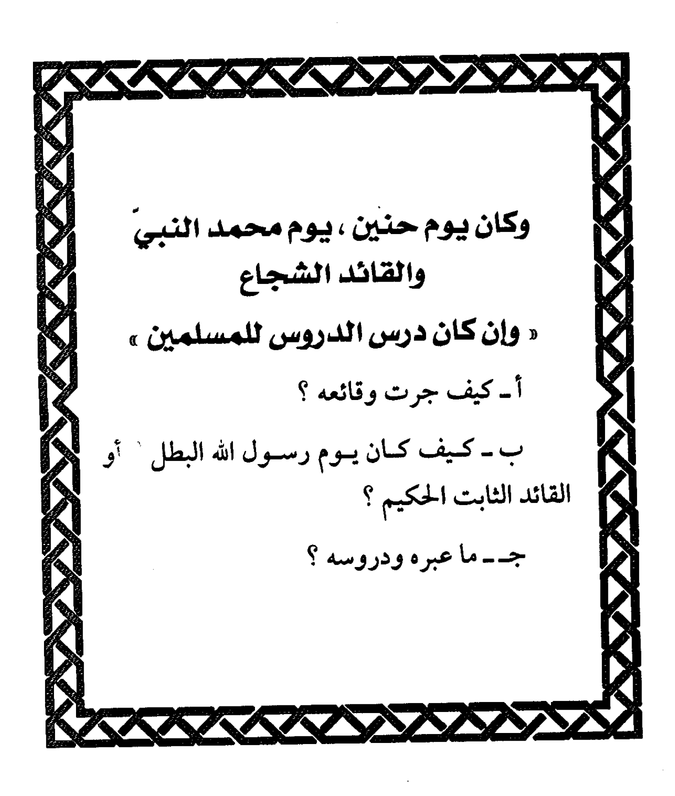
---

(١) أسباب النزول للنيسابوري ص ٢٥٢، ٢٧٨ طبعة بيروت .

ترى هل تحتاج هذه القصة إلى موفور شرح أو تحليل ؟

إن وحشيًا قاتل حمزة ثمنا لحصوله على حريته ، قتل بنفس الحربة من ادعى النبوة « مسيلمة » وحتى يكون بهذا قد عالج الخطيئة ، بسلوك عظيم ، أخرس الفتنة، وقضى على الفرقة والشتات ، بعد رسول الله ندعو الله ضارعين ، بسلامة القصد ، ونبل الهدف ، وطهر الاعتقاد ، وكمال اليقين ، والغفران والصفح العظيم. . وإنه لنعم المجيبين .

* * *



وكان يوم حنين ، يوم محمد النبيّ والقائد الشجاع

« وان كان درس الدروس للمسلمين »

أ ـ كيف جرت وقائعه ؟

ب ـ كيف كان يوم رسول الله البطل أو القائد الثابت الحكيم ؟

جـ ـ ما عبره ودروسه ؟

وجاء يوم الدرس الرهيب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآيات [التوبة : ٢٥ ـ ٢٧] .

٢ ـ تتحدث هذه الآيات الثلاث عن غزوة حنين ، أو عما نطلق عليه « يوم الدرس الرهيب »!!!

فبعد أن فتحت مكة وخضع الطغاة فيها ، ودخلوا في دين الله أفواجًا ، توقع بنو« هوازن وثقيف » حربا لا محالة ، بينهم وبين المسلمين وأعدّوا أنفسهم لهذه الحرب، وكانت لهم شهرة واسعة في استخدام السهام ، والرماح والخديعة ، وهذه كما ترى عدة النجاح والفوز . . .

لقد جمعوا حوالي ثلاثين ألف مقاتل ، وتحصنوا بالجبال والشعاب في غبش الفجر كما تحكي كتب السيرة ، ثم انقضّوا على جيش المؤمنين فجأة ، وأعملوا فيهم السهام والرماح والسيوف ، فزلزلوا جموعهم ، وشتتوا صفوفهم ، فهرب البعض طلبًا للنجاة ، وقاتل البعض طمعًا في الشهادة ، وأوشكت الهزيمة تنزل بجيش الإسلام ، لولا أن تدارك رسول الله: نفسه وبقيادته الموقف ، فأخذ ينادي ومن خلفه العباس عمه وكان جهوري الصوت : « **يا أنصار محمد ، يا من بايعتموه تحت الشجرة.. أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المُطلب**» (١) .

ب ـ واندفع المصطفى إلى الأمام ليواجه أعداء الله ، غير هيابٍ ولا وجل ، بينما يمسك أخوه من الرضاعة ، وابن عمه « أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطلب » بلجام دابته ليحول بينه وبين المُخاطرة الصعبة في زحام المُقاتلين والمُحاربين والهاربين!!

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري في شرح التوبة .

واستجاب المسلمون للنداء وعاد تجمعهم من جديد ، ثم كرُّوا على أعدائهم بضراوة وإصرار رهيب ، فهزموهم شر هزيمة ، وأعملوا فيهم السيوف حتى لاحت بواكير النصر ، وكان يوم حنين هذا يوم الدرس العنيف والمرير !!! كما كان يوم محمد القائد الصامد الشجاع .

ظن المُسلمون خطأ يومئذ وقد أغرتهم كثرتهم أنهم منتصرون دومًا وأن الكثرة تعني الفوز ، فخاب ظنهم وتعلموا الدرس جيدًا في هذا اليوم الكريه !!!

[إن النصر مع الإيمان ومع الصبر عند اللقاء ، ومع الصمود عند الأهوال أو الأخطارِ العظام] .

جـ ـ سُئل البراء بن عازب وهو من هو شجاعة وجهادا دؤوبًا في سبيل الله ، ولأنه شجاعٌ وصحابي جليل ـ شارك في هذه الغزوة : أفررتم عند لقاء حنين ؟ فأجاب : نعم فررنا ولكن رسول الله تقدّم الصفوف ، ونادى المسلمين الذين أخذوا على غرة قائلاً : « **أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المُطلب**» ، فعادوا وتجمعوا ، وصمدوا حتى النصر المُبين (١).

وهكذا أقرّ الكثيرون بفرارهم يوم حنين ، وبثبات المُصطفى ﷺ مع صفوة صَحابته ، وكان على رأسهم عمه « العباس » ابن عمه « أبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطلب » وكان أخاه من الرضاعة والذي أمسك بلجام دابته ، ليحول بينها وبين أتون حرب مهلكة ، ودون جدوى إذ كان تقدّم رسول الله ونداؤه الفارين عدة الثبات ثم النصر . . . .

د ـ تقول مراجع الحديث والسيرة :

إنّ « هوازن وثقيف » ومنذ فتح مكة قد بدأتا الإعداد والاستعداد مُبكرًا جدًا ، ولكن المعركة وكما حدثت وقائعُها ، جرت في السادس من شوال سنة ثمانٍ من الهجرة أو بعد السادس مُباشرةً (٢) .

---

(١) المنهل الحديث برواية البخاري ومسلم جـ٣ ، وأسباب النزول للنيسابوري .

(٢) المنهل الحديث فى شرح الحديث ٣ / ٥٦ ـ ٦٦ .

يومها وقع المسلمون في فخاخ الغـرور والاغترار بالكثرة ، إذ كانـوا اثنى عشر ألف مُقاتل ، ومن هنا قال قائلهم: « لن نهـزم اليوم عن قلة » !!! ثم كانت مُفاجأة من تربّصوا بهم في الشعـاب وقمم الجبال ، ليمطروهم بالسهام والرمـاح حتى فزعوا وهربوا !!! ودون نظام !!!

ولولا ثبات رسـول الله ﷺ وبعض الصحابة من حوله لكانت هذه الغـزوة نهاية الغـزوات !!! ولقـد كان ثـبات رسـول الله ﷺ ومن حـوله درس الدروس كلهـا ، فالنصـرُ لا علاقة له بالـكثرة ، إنما يصنعه ثابت اليـقين ، وعظيم الصبـر ، وإخلاص الخواطر والمشاعر لله رب العالمين !!!

هـ ـ وبعض آيات القرآن الكريم السابقة :

١ ـ أفسدهم الغرور وضللتهم الكثرة العددية . . .

٢ ـ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

٣ ـ ضاقت عليهم أنفسهم .

٤ ـ ثم كان الفرار المُخجل وثبات المُصطفى ، وتقـدمه الصفوف ونداؤه والعباس من خلفه لتتحول الهزيمة إلى النصر .

٥ ـ أنزل الله جنودًا لم يروها ، شاركت بدورها في صنع النصر .

٦ ـ وتتفتح أبواب السماء لتوبة التائبين ، ليكتمل الدرس وتستقر العبرة والعظة .

٧ ـ ثـم يأتي غـفـران الله ، وتأتي رحـمـته بلسـمًـا للجـراح ، وشفـاءً لما في الصدور .

قراءنا الأحبّاء :

أرأيتم إعجاز تعبير أو تصوير كهذا الإعجاز في الآيات الثلاث ؟

سبحانك ربّي سبـحانك ، علّمت ، ورحمت ، وثبّت ، وأثبت ، ولك الشكر والفضل العظيم .

د ـ صوّر علي بن أبي طالب كلام المُصطفي ﷺ فقال :

« كنا إذا حمي الوطيس ، واشتدت الحرب واحمرّت الحدق ، نحتمي برسول الله فما يكون أحدٌ أقربُ إلى العدوّ منه » .

وإنه لأمرٌ خطير ، الشباب ، والفرسان ، والصناديد ، يحتمون من عدوّهم بنبي الله .

تُرى : كم كان عمره حينئذٍ مثلاً ، ومن غيره يستطيع أن يفعل فعله ، ومن يعمل عمله ؟ إنه الإيمان في أبهى درجاته ، وإنه الإيثار في أروع أمثلته ، وإنه النبي لا كذب وصدق الله العظيم : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] وسبحانه منعمٌ ومُتفضِّلٌ وذو قدرةٍ وحكيم . . .

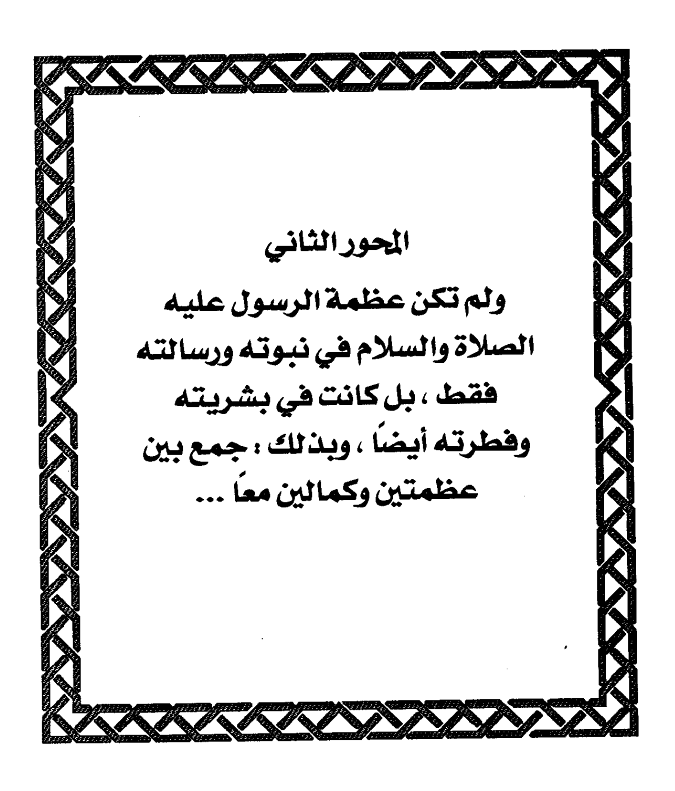
هـ ـ وخلاصة الخلاصة :

إن معركة حنين وبتدافع أحداثها ، وبنتائجها وبدروسها وعبرها ، لم تكن أبدًا معركة من معارك المؤمنين فحسب ، إنما كانت معركة قيادة شجاعة لبني عظيم . .

فلقد كان ثباته ، وصموده ، ومخاطرته ، ونداؤه ، مفاتيح النصر في هذا اللقاء الرهيب ، وسبحان مُقلّبَ القُلوب ومُغيِّرِ الأحوال . . .

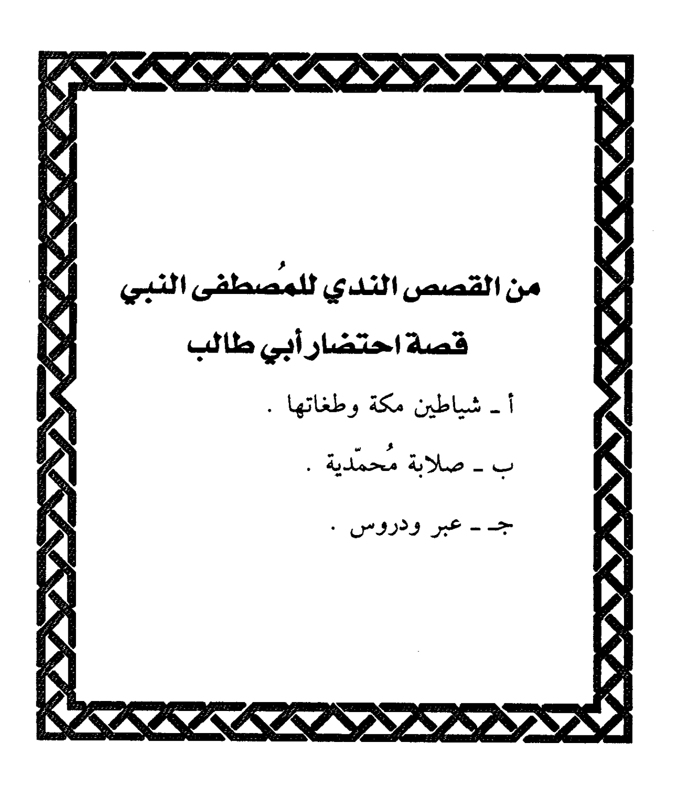
راجعوا هذ التدرج في تأييد رسول الله ، وتفهموا ما بين السطور . كما يقولون ، وحتى تزدادوا إيمانًا ويقينًا . . ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٦] .

ولأنها كانت معركة محمد ، فلقد أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين معه ، فعادوا بعد بعثرة ، وتشرذم هارب مهزومٌ ، قوة فداء وافتداء ، وإيمان جسور يحصد النصر والفوز الكبير .



المحور الثاني

ولم تكن عظمة الرسول عليه الصلاة والسلام في نبوته ورسالته فقط ، بل كانت في بشريته وفطرته أيضاً ، وبذلك : جمع بين عظمتين وكمالين معاً ...



من القصص الندي للمُصطفى النبي

قصة احتضار أبي طالب

أ ـ شياطين مكة وطغاتها .

ب ـ صلابة مُحمّدية .

جـ ـ عبر ودروس .

قصة احتضار أبي طالب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٦٧] .

أ ـ يرى المفسرون لكتاب الله والباحـثون عن أسرار التنزيل ، أن هذه الآية نزلت في أبي طالب عم رسول الله ﷺ ، [مما رواه البخاري ومُسلم في أسباب النزول]

ذلكم أنه لما حـضرته الوفـاة أُبلغ بذلك المُصطفى ﷺ سـارع إلى بيت عمـه ، ليكون في وداعه ، وليعـينه على النطق بالشهادة قبل موته ، حـتى يطلب له الرحمة من ربه ، والعفو عنه .

ب ـ ووجد ضمن الحاضرين اثنين من طغاة كفار مكة ، وهما : أبو جهل وعبد الله بن أبي أميـة » وشاهد زحامًـا شديدًا ، فقـال : دعوني وعمي ، فـرفض الطغاة قائلين : لنا من القرابة بأبي طالب ما لك منها ، ولن نتركك معه !

جـ ـ اقترب رسول الله من فراش عمه قائلا له : « **أعنّي على نفسك يا عم وقل: أشهد ألا إله إلا الله حتى أشفع لك بها عند ربي**»، فرد عليه بعد تدخل الطغاة : يا ابن أخي ، أعلم أنك الناصح لي ، ولولا أن تعيّرني نساء قريش فيقلن ، لقد قالها جزعًا وخوفا من الموت ، لأقررت بها عليك فقـال الطغاة: ملة الأشياخ، ملة دين عبد المطلب يا أبا طالب ، وظلوا يرددونها ، حتى كانت آخـر ما قال قبل موته : بل أنا على ملة عبد المطلب .

د ـ فقال له المصطفى حزينًا : « **وسأظل أستغفر لك ربي حتى يردّني أو ينهاني**»، ثم نزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] .

ثم تأكد النهي بقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] .

ونسأل أنفسنا عدة أسئلة يستدعيها التأمل في وقائع هذه القصة :

١ ـ تُرى : ماذا كان يمكن أن يحدث من أبي طالب لحظة الوداع ، في غير حضور الطغاة ووسوستهم ؟

ب ـ خشية أبي طالب من أن تُعيره نساء قريش ، أما كان من السهل تخطيها بتشجيع من ابن أخيه الناصح له ، ولكن كيف يتأتى هذا ، وفي وجود شياطين ملعونين!!

جـ ـ حِرص المصطفى على نجاة عمه ، ما دواعيه أو أسبابه ؟ أو يمكن إغفال دور الكفالة والحماية والدعم ؟

لقد كان الرسول باراً ووفياً ورحيماً بكل الناس ، فكيف لا يكون أكثر براً ، وأعظم وفاءً ، وأشد رحمة بعمه ، وهو الذي سمّى عام وفاته ووفاة خديجة معه ، عام الحزن ، وصلّى الله على المبعوث رحمة للعالمين .

وتحكي كتب السيرة :

أنّ الإمام السّديّ قال : إن أبا طالب حينما حضرته الوفاة قالت قريش : انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه أن ينهى ابن أخيه ، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب :كان يحميه ويمنعه ، فلما مات قتلوه !!

فانطلق « أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأمية وأبيّ بن خلف ، وعقبة بن معيط ، وعمرو بن العاص ، والأسود بن البختري » إلى أبي طالب ، فقالوا له : أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن محمداً قد آذانا وآلهتنا ، ونحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه ، فدعاه فجاء النبيّ ، فقال له أبو طالب :

هؤلاء قومك وبنو عمك ، فقال رسول الله: «وماذا يريدون ؟» فقالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ، وندعك وإلهك ، فقال أبو طالب : قد أنصفك قومك يا ابن أخي فاقبل منهم . . . فقال المصطفى ﷺ : « **أرأيتم إن أعطيتكم هذا ؟ هل أنتم معطي كلمة، إن تكلمتم بها ملكتم العرب ، ودانت لكم بها العجم ؟** » قال أبو جهل : نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها ، فما هي ؟ قال النبي ﷺ : « **قولوا: لا إله إلا الله** » فأبوا واشمأزوا ، فقال أبو طالب : قل غيرها يا ابن أخي فإن قومك قد فزعوا منها فقال رسول الله ﷺ : « **يا عمّ : ما أنا بالذي أقول غيرها : والذي نفسي بيده ، لو**

وضعوا الشـمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الدين ما تركـته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

قال أبو طالب : « افعل مـا بدا لك يا ابن أخي ، فوالله لن أسلمك إلى مكروه أبدًا .

ونقف هنا نتأمل هذه الرواية التي وردت في أكثر المراجع دقة [1].

وحتى نتعرف على مقاصدها :

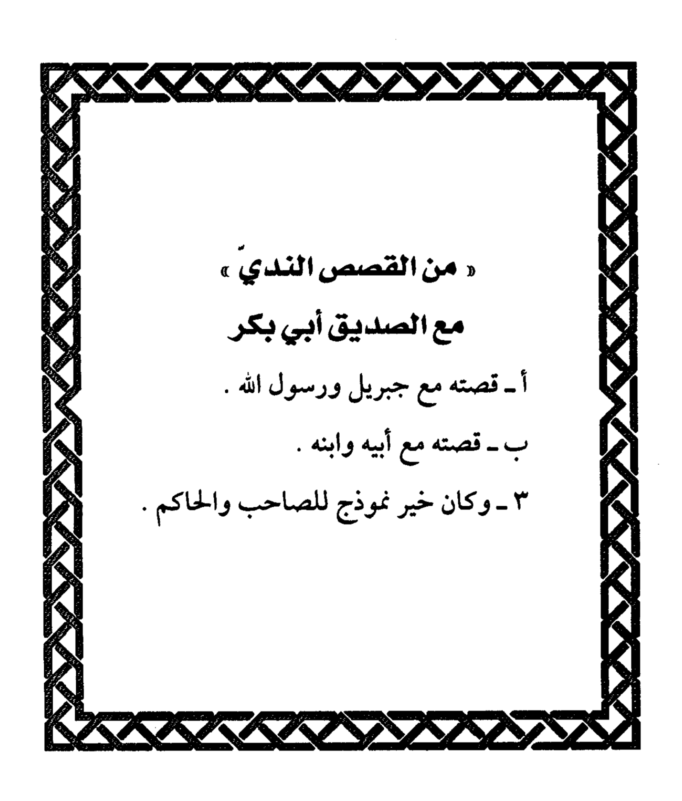
١ ـ أي ثبات إيماني لا تهزه المخاوف كهذا الثبـات المحمديّ ، إن حاميه في حالة احتضار ، والاحتضار ضعف وعجـز ، واستسلام ومهادنة ، فكيف تأتّى هذا الثبات وهذا التحديّ؟ إنها ثمار الإيمان بالله .

٢ ـ يحني التاريخ رأسـه إكبارًا لموقف أبـي طالب ، فلقد انتصف لابن أخـيه ؛ لأنه على حق ، ولم تسـتطع الضواغـط الجاهليـة أن تصرفـه أو تنال من تصمـيمـه وصلابته ، ومن لا يهاب الموت لا يهاب الطغاة .

٣ ـ لقد طلـب طغاة مكة من رسـول الله ﷺ يومئذ أن يكف عـن الحديث عن آلهتهم بسوء ، وإلا عابوا إلهـه وسبّوه !!! ونزل وحي الله بقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [الأنعام : ١٠٨] . [ويا سبحان الله] !!

---

(١) أسباب النزول للنيسابورى ص ١٦٦ .


« من القصص النديّ »
مع الصديق أبي بكر
أ ـ قصته مع جبريل ورسول الله .
ب ـ قصته مع أبيه وابنه .
٣ ـ وكان خير نموذج للصاحب والحاكم .

من روائع القصص النديّ للمصطفى النبيّ

تلكم القصة التي يرويها في حـديثه عن رسول الله ﷺ ، بشأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه « عبد الله بن عمر » فيقول :

أ ـ بينما النبي جالس وعنده أبو بكر ،وعليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال، إذ نزل عليه جـبريل ـ عليه السـلام ـ فأقرأه من الله السلام وقـال له : ما لي أرى أبا بكر وعليه عباءة قد خلّها على صدره بخلال ؟

ب ـ فقال المصطفى :

يا جبريل ـ لقد أنفق عليّ ماله قبل الفتح .

قال جـبريل : فـأقرئـه السلام من الله وقل له : يقـول لك ربك : يا أبا بكر ، أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟

جـ ـ فالتفت النبيّ إلى أبي بكر وقال له : «**يا أبا بكر .. هذا جبـريل يقرئك من الله السلام ويقول لك ربك : أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم أنت ساخط ؟**» .

د ـ فبكى أبو بكر الصديق قـائلا : **أو على ربي أغضب ؟ أنا على ربي راض أنا على ربي راض** ، واستغـرق في بكائه . . وهنا نزل قوله تعالى : ﴿**وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [الحديد : ١٠] .

د ـ القـارئ العـزيز : أو لست ترى في القـصـة مـا أرى؟ من عظمـة أبي بكر واستـحقاقـه لحب رسول الله وإعزازه ؟ أو لست تراه برصـيد التقـوى ، والصلاح ، والإيمان ؟

أو لست تراه لاصطفائه في الهجرة؟ وأهلا لاستخلافه في الإمامة بالمسلمين حين غلبه مرض الموت ؟

هـ - يقـول المـصطفى : « **لو وزن إيمان النـاس بإيمان أبي بكر لـرجح إيمان أبي بكر** » ويدعو له حينمـا خرجا من الغار مـهاجرين : « **اللهم اجعل أبا بكر معى في درجتي من الجنة** » ونودي من السماء ، لقد استجيب لك يا رسول الله .

ونبقى مع الصديق في قصة أخرى :

أ - تحكي كتب السيـرة وأسباب النزول ، نقلا عن ابن عـباس قوله : إن أبا بكر آمن بالرسول وصدقه ، فجاء عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير، وسعـيد بن زيد ، وسعد بـن أبي وقاص ، فسألوه عن خـير إيمانه ، فأخـبرهم به ، فآمنوا كـما آمن ، وفـيهم نزل قـوله تعالى في سـورة الزمر : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] .

ب - **قال ابن جريج** : حُدِّثت أن أبا قحـافة سب نبيّ الله ، فصكه أبو بكر صكة شديدة سـقط منها ، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فـقال لأبي بكر : « **أفعلته ؟** » قال: نعم يا رسـول الله، قال النبيّ : « **فلا تعـد إليه** » فرد الصديق : والله لو كان سيفي على مقربة مني لقتلته، فنزل الوحي بقول الله :

﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

جـ - وروى ابن مسعود قال : نزلت الآية في « أبي عـبيدة بن الجراح » قتل أباه «عبد الله بن الجرّاح يوم أحد . . » .

ونزلت في أبي بكر الذي دعا ابنه للمبـارزة يوم بدر فقال: يا رسول الله : دعني أكن في الرعلة الأولى ، فقـال له الرسول : « **ومنعني بنفسك يـا أبا بكر ، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري ؟** » ونزلت في « مصعب بن عمير » قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد . .

ونزلت في « عمر بن الخطاب » قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر .

ونزلت في « عليّ وحمزة » قتـلا عتبة وشيبة ابني ربيعة ، والولـيد بن عتبة يوم بدر .

وذلك تفسـير قولـه تعالى في الآية : ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ وصدق الله علام الغيوب (١) .

د ـ أو ليس هذا هو الصـديق ، الإنسـان المتـواضع ، الصلب الإرادة ، الحـاكم العـادل الشجـاع ؟ أو ليس هو القـائل في أول خطبة لـه في المسلمين ، وبعد وفـاة الرسول عليه السلام :

« أيهـا الناس ، إني وليت عليكم ولست بخـيركـم ، فإن أحـسنت فسـدّدوني وأعينوني ، وإن أخطأت فقوّموني ، الصدق أمـانة ، والكذب خيانة ،والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرد عليه حقه، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم » .

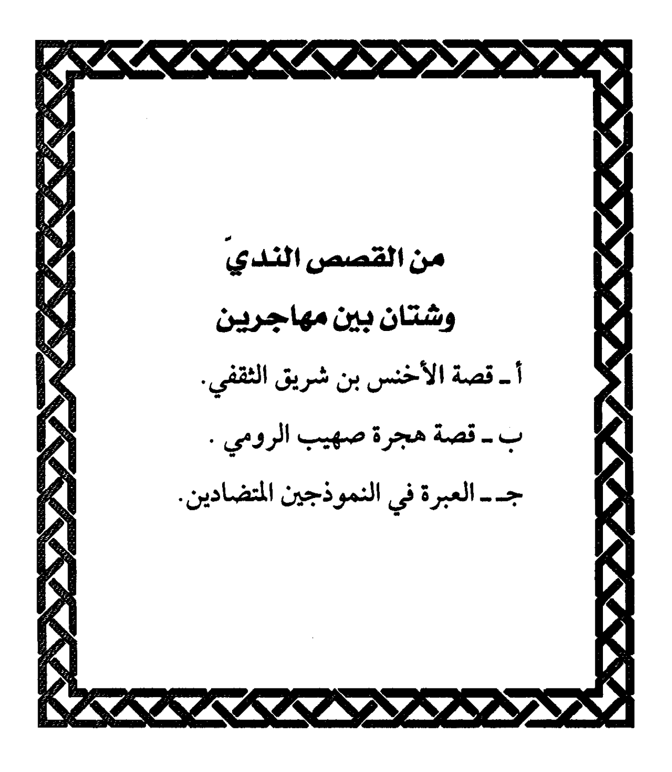
تُرى هل هناك حاكم يخضع نفسه وغيره لمعـايير الصّديق ؟ إنها المدرسة المحمدية وكفى ، ولن نزيد .

حسب هذا الصدّيق العظيم أن ثبّت دعائم الإسلام بعد وفاة المصطفى أو ليس هو الذي رفع شعار قتل المرتدين ومانعي الزكـاة ومدعي النبوة؟ ترى : ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو تهاون أو تهرب ، أو وقف من تلك الأحداث الكبار موقفا سلبيًا؟

رحم الله أبا بكر ، الذي اتسع الإسـلام لرقـته ، كـما اتسع لـقوة شكيـمتـه ، وصلابة إرادته ، وجـبروت ضراوته ، وكم هو عظيم هذا الدين ، الذي اتسع لعـمر ابن الخطاب من بعـده ، وحسـبه أن يكـون هو الفاروق ، وأن يكون إسـلامه نصـرًا للدين، وانتصارًا للضعفاء والمستضعفين ، وكما قال العقاد ـ رحمه الله ـ وهو يتحدث عن الرجلين العظيمين : « أبي بكر وعمـر بن الخطاب »: إن روعة هذا الإسلام تبدو بوضوح حينما ذابت فيه قوة « عمر ، ورقة الصّديق معه » . .

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري ص ٣١٠ طبعة بيروت .



من القصص النديّ
وشتان بين مهاجرين

أ ـ قصة الأخنس بن شريق الثقفي.

ب ـ قصة هجرة صهيب الرومي .

جـ ـ العبرة في النموذجين المتضادين.

وشتان بين مهاجرين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤ ـ ٢٠٧] .

النموذج الأول : ويمثّله « الأخنس بن شـريق الثقفي » حليف بـني زهرة ، فلقد قـدم من مكة إلى المدينة مـعلنا إسلامـه ويُشهـد الله على صـدقه ، وهو كـاذب آثم فاجر!! فلقد صدقه رسول الله ، بل وسرّ به كل السرور ، وأعجب به كل الإعجاب واختفى هذا المجرم فجأة وعـاد إلى مكة ، وبعد أن أحرق زرعًا ، وبقرا وإبلاً مملوكة لمسلم، وبلا سـبب مـعلوم ، وهكـذا أهلك في طريق عـودته لديار الكفـر الحـرث والنسل، وهكذا كان حكم الله عليه بأنه مفسد ، ظالم يستحق الخلود في نار جهنم!!

والنموذج الثاني : ويمثّله صـحابي جليل القـدر ، عظيم الإيمان هو « صهـيب الرومي» الذي أسلم وحسن إسلامه ، ولازم مجلس رسول الله ،يأخذ عنه ، ويتعلم منه ، إلى أن كانت الهـجرة إلى المدينة المنورة ، فخطط لهجـرته في أمان ، أو هكذا خيّل إليه . .

لقد طارده عدد كبير من فرسـان مكة ،وقطعوا عليه الطريق ، فماذا حدث؟ لقد أدرك خطة المطاردة ، ومع هذا لم يسـتـسلم لها ولهـم ، إذ نزل عن راحلته ، ونثـر سهامه ، وأفـرغ كنانته ، ثم أخذ قوسه وناداهم : يا مشعـر قريش : لقد علمتم أنى من أدماكم رجلا ، وايم الله لن تصلوا إليّ ، حتى أدمي بما مـعي ، ثم أضرب ليبقى ما بقى في يدي منه شيء ، ثم افعلوا بي بعد ذلك ما شئتم !!!

قالوا له :

دلنا على بيتك ومـالك في مكة ، ونخلّي عنك ، وعاهدوه إن دلهم أن يتـركوه وشأنه ، فطالـبهم براحلة وسيف ، ووافـقوا ، ودلّهم على بيـته وماله هـناك ، فلما

وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله، الذي فرح بوصوله ، قال له : «**ربح بيعك يا أبا يحيى** » وهنا نزل جبريل على نبيّ الله بالآية الأخيرة التي تحكي قصته ، وتجسد تضحيته .

وتقول بعض مواجع أسباب النزول :

إن مشركي مكة ، قد أخذوا صهيبًا ، فعذبوه ، حينما علموا بنيته في الهجرة ، فأغراهم بماله قائلا لهم :

إني شيخ كبير ، لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم ، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني ؟ فوافقوا بعد أن نفذوا شرطه ، في السماح له براحلة وسيف فقط !! وخرج إلى المدينة ، فتلقّاه أبو بكر وعمر ، وعدد من المسلمين ، وبادره الصّديق قائلا له: ربح بيعك أبا يحيى ، فرد عليه ، وبيعك فلا بخس أبدًا ، فما ذاك؟

قال أبو بكر : أكرمك ربك أبا يحيى ، وأنزل فيك قرآنا كريما ، ثم تلا عليه الآية الأخيرة .

ويحكي الإمام النيسابوري (١) : أن الآية نزلت في رجل آمن بالله ورسوله ، ثم خرج في قتال من أجل دين الله فوقع شهيدًا.

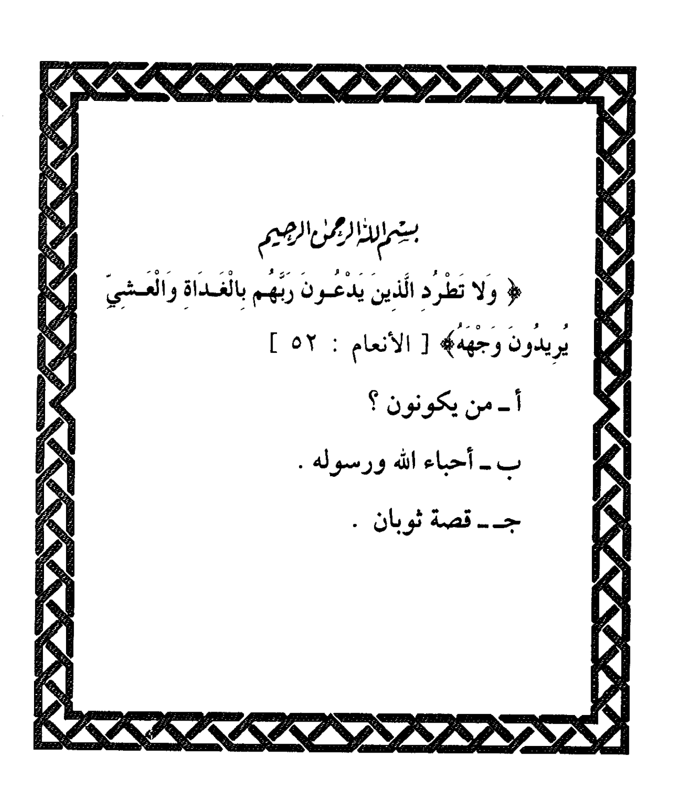
وبعد : فإن الآيات إنما نزلت عظة وعبرة للمؤمنين ، إنها توازن بين نموذجين متضادين : نموذج ضال ومضلل ، وآثم كذّاب ، ودعيّ غادر ، ولئيم قبيح السلوك!!

ونموذج مثالي مؤمن ، يضحّي بما يملك في سبيل دينه ، يستوي في ذلك أن يكون « صهيبًا » أو أن يكون واحدًا مغمورًا عند الناس ، ولكنه مميز ومفضل عند الله الكريم ، ولم لا ؟

لقد دفع حياته ثمنًا لإيمانه ، فصدق عليه قول ربه : **﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة : ١١١] .

---

(١) أسباب النزول ص ٤٤ طبعة بيروت .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٢]

أ ـ من يكونون ؟

ب ـ أحباء الله ورسوله .

جـ ـ قصة ثوبان .

بسم الله الرحمن الرحيم

أ ـ ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

ب ـ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف : ٢٨] .

١ ـ وصفت الآيتان بعد نهي الله رسوله عن طردهم ، وإبعادهم عن خاطره ، واهتمامه بأنهم قوم ارتبطوا بربهم برباط الدعاء والتضرع ، وطلب القبول والعون والسداد ، وجعل طردهم ظلما يجب البعد عنه . . إنهم يحبون الله ورسوله ، وهم جادون صادقون ، ومن هنا كان الأمر في الآية الثانية للرسول ﷺ باستبقائهم والارتباط بهم وتجاوز رأي هذا الضال المضلل ، والذي اختار الغفلة عن ربه ، والخضوع لهواه المهلك ، أسلوب حياة !!

٢ ـ وجاءت آية ثالثة من سورة الأنعام ، تطالب بعودة هؤلاء المؤمنين الصابرين، وبدأ اللقاء بهم بالسلام والثناء عليهم ؛ لأنهم أهل لحب رسول الله ومودته وتأييده : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

٣ ـ تقول كتب السيرة وأسباب النزول :

إن رسول الله كان يحرص على محبة هؤلاء الستة من صحابته ، وكان إذا رآهم بادرهم بالسلام ، وقال : « **الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام** » (١) .

٤ ـ يقول عكرمة : نزلت الآية في هؤلاء الستة « سعد بن أبي وقاص ، وعبد

(١) أسباب النزول للإمام النيسابوري رحمه الله ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، طبعة بيروت .

الله بن مسـعود ، وصهـيب ، وعمار بن ياسـر ، والمقداد ، وبلال » حـينما طالب وجهاء مكة رسول الله بطردهم من مجلسه ، حتى يتسع لهم أولا وقبل كل شيء . . حتى قـال الملأ من قريش حينمـا مرّوا على مجلس المصطفى فـرأوا فيه « خـباب بن الأرت، وصهـيب الرومي وبلالا ، وعـمار بن ياسـر » قالوا : يا مـحمد أرضـيت بهؤلاء؟ أو تريد أن تكون تبعًا لهم ؟ فنزل نهي الله عن طردهم أو إبعادهم .

٥ ـ **ويقول عكرمة** : جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدي ، والحرث بن نوفل ، في وفـد من أشراف بني عبد مـناف (من أهل الكفر) أبا طالب فقالوا له : لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعـبيدنا ، وسفهاءنا ، لكان أعظم في نفوسنا وصدورنا وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتبـاعنا إياه وتصديقًا له ، فأتى أبو طالب رسول الله فحدّثه بما قالوه .

فقال عمر بن الخطاب :لو فعلت ذلك ، حتى ننظر ما الذي يريدون من قولهم؟ فنزلت آية النهي عن إبعادهم أو طردهم من مجلسه . . فأقبل عمر معتذرًا لرسول الله عما قال من قبل !!

٦ ـ **هذه الشـريحة** « من أصحـاب المصطفى كانت أشد التـصاقا به ، وحـبًا لله وله، ولحكمـة أرادها الله القدير الحكيم ، كـانت تلك الشريـحة صفـوة في الحب، وصفـوة في الطاعة ، وصفـوة في الصبر والـتحمل والمعـاناة حتى انتشـر الإسلام ، وانتصرت العقيدة ، وارتفع إلى السماء علم الغلبة والفوز المبين ، وربما كان وراء هذا كله حرص السماء على أن يبقى للإعجاز طعم ولون وأثر خطير .

٧ ـ **تحكي كـتب السيـرة وأسبـاب النزول هذه القصـة الجمـيلة** « لثوبان » مولى رسول الله ﷺ، وكان واحدا من هذه الشريحة الطيـبة ، المؤمنة ، الصادقة والوفيّة ، فنقول : لقـد سيطر حب رسول الله على كل مـشاعر « ثوبان » والذي كـان الرسول يبادله الحب والود ، فغـاب عن مجلس النبي حتى افتقده وسـأل عنه ، وما إن جاءه حتى استـقبله المصطفى بالترحيب مـتسائلا عما نزل به فـحبسه عنه ، فلقد رآه مـغبر الوجه حزينا ، كسير الخاطر . . . ورد هذا الصحابي الجليل :

يا حبيب الله ، تعرف مدى حبي لك ، وارتباطي بك ، حتى أصبحت أكره الليل الذي يحرمني أُنس لقائك ، ويحول بيني وبين رؤياك ، وأنا يا نبي الله أعرف مكانتك عند ربك ، ومنزلتك لديه ، حتى بت أشفق على نفسي .

يا رسول الله ، إن منزلتي دون منزلتك ، ومكانتي دون مكانتك ، وهذا يعني أنني حتى إذا دخلت الجنة ـ فلن أسعد بلقياك ورؤياك ، كيف لا أحزن ؟ كيف لا أبكي يا رسول الله ؟

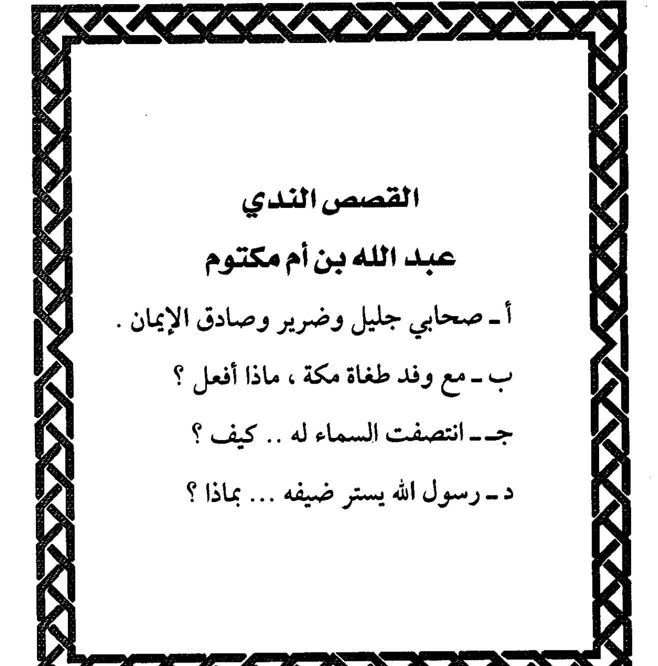
تقول المراجع : وسكت المصطفى ﷺ لينزل عليه جبريل بقول الله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء : ٦٩] .

٨ ـ **هل رأيتم حبًا كهذا الحب ؟** هل رأيتم فضلا من الله وتكريما لمحبّيه ورسوله ، كهذا الفضل أو كهذا التكريم؟

الجواب : وبالنص القرآني المعجز :

﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠] .

ويا سبحان الله المنعم والكريم .



القصص الندي

عبد الله بن أم مكتوم

أ ـ صحابي جليل وضرير وصادق الإيمان .

ب ـ مع وفد طغاة مكة ، ماذا أفعل ؟

جـ ـ انتصفت السماء له .. كيف ؟

د ـ رسول الله يستر ضيفه ... بماذا ؟

عبد الله بن أم مكتوم

أ ـ واحد من عظماء صحابة رسول الله، حرم من نعمة البصر ،ولم يحرم نور البصيرة واليقين ، أحب المصطفى ودين الله ، حبا ملك عليه مشاعره كلها ، وبات شغله الشاغل ، أن يحضر من بيته البعيد نسبيا عن مجلس رسول الله الدائم ، متعرضا لمخاطر لا تعد ولا تحصى في الطريق وحتى يتعرف على أحكام التشريع ، كان من أشد الصحابة حرصا علي مجالسة الرسول والاخذ عنه.

ب ـ وقدم وفد من أكابر طغاة مكة ، ليستمعوا من محمد الذي سفّه أحلامهم ، وعاب ديانتهم ، وأظهر الرسول اهتماما زائدا بهم ، علهم يهتدون ، فتخف حدة معاناة المسلمين المستضعفين ، وأقبل عليهم بكل طاقته ، طمعا في الأمل المرتجى ، ولكن عبد الله لم يكن على علم بما يجري . . .

جـ ـ وبالتالي : قاطع الرسول ﷺ مراتٍ ومراتٍ ، وحتى ظهر الغضب على وجهه ، وانسحب الطغاة دون إيمانٍ وإسلامٍ ، لينزل الوحي على رسول الله مُعاتبًا على هذا الإقبال الكليّ على وفد مكة ، وإهمال مطلب عبد الله المُتكرر ، علّمني مما علّمك الله يانبي الله . . .

د ـ وهكذا سجلت سورة عبس هذه القصة ، حتى جعلت المُصطفى يُبالغ في استرضاء عبد الله ، فلقد كان يبدأ حديثه معه كلما رآه بقوله : « **أهلاً بمن عاتبني فيه ربي** » . . ثم استخلفه على المدينة في غيابه عنها ، بسبب الغزوات ، كدليل أكيد على حبه وثقته ، على أن هذا الاستخلاف قد تكرر مرات ،ومع وجود الكثيرين من صحابة رسول الله ﷺ. . .

ولنتأمل بهدوء مضامين هذه الآيات ، من الأولى حتى الحادية عشرة من سورة عبس . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ . وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ . وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ . فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ . كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ .

١ ـ الآيات تحـمل عتـبًا لرسـول الله ؛ لأنه انصـرف بكل طاقتـه لوفد الطغـاة الظالمين ، مهملاً مطلب الصحابي الصالح : علّمني مما علّمك الله يا رسول الله . .

وكما دخل الكفار بالكفر ، قد خرجوا به أيضًا ولبئس الزيارة زيارتهم !!!

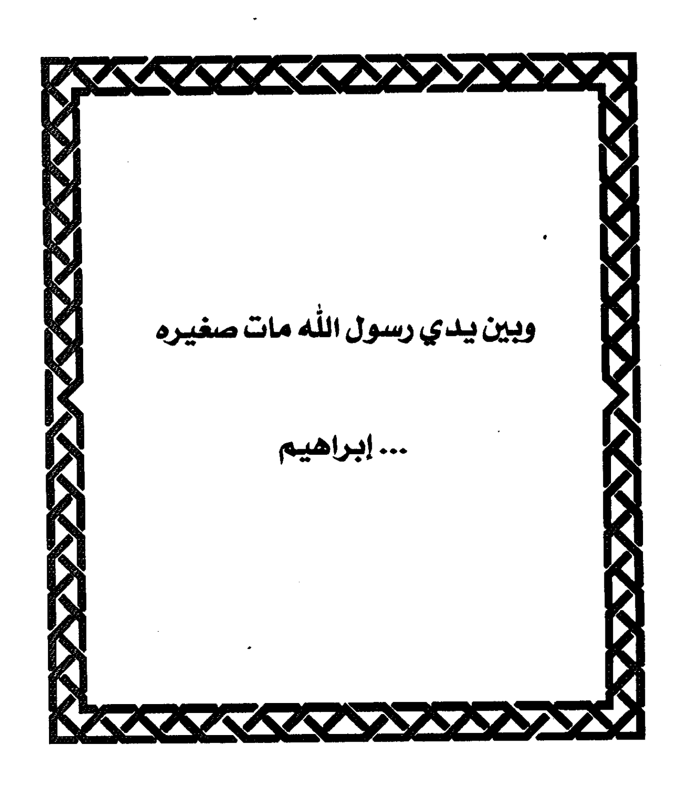
٢ ـ **الآيات توازن بين نموذجين متضادين :** الأول طيب مؤمن حريصٌ على فهم دين الله وشرعـه ، ويجسده ابن أم مكتوم ، والشـاني مشرك آثم ظالم لنفســه وغيره ويمثل هذا الوفد الذي خـدع المُصطفى فيه ، آملاً أن يدخلوا دين الله ، فـتخف حدة معاناة المسلمين المُستضعفين .

٣ ـ تحذرنا الآيات ضمنًا من الاستسلام لخداع الضالين والمُضللين ، فلقد اختاروا بكل الوعي الضـلالة ، فأضلهم الله وأعمـى أبصارهم ، وما ظلمـهم الله ولكن هم الظالمون دومًا . .

٣ ـ سورة عبس تُمثل تاجًا على جبين هذا الصحابي الجليل ، ليفيض هو الآخر بنور البصيرة ، وإشراقات الروح ، ونقاء الضمير ، وطهارة اليقين ، وطهر الإيمان . .

[عُد إلى كتابنا « تأملات قرآنية » ففيه ما يُشبع ويرضي ويُقنع] .

* * *


وبين يدي رسول الله مات صغيره
... إبراهيم

ومات ولده أمام عينيه

أ ـ وهل كان المُصطفى إلا الأب والوالد ؟

ب ـ عبرات الرسول قطرات رحمة . . .

جـ ـ الطبيعة لا تبكي لبكاء أحد ولا تتأثر بموت بشر . .

أ ـ تجمع كتب السيرة العـطرة على أن المُصطفى ﷺ كان يحمل ابنه من «مارية» « إبراهيم » في اللحظات التي فارق فـيها الحياة ، وأنه كان شـديد الحزن عليه بل إن دموعه حفرت أخـاديد في وجهه الشريف ، ومنها استقرت على ركبـتيه حينما جلس على الأرض يستقبل عزاء صحابته ومعارفه . .

تقول هذه الـكتب : إن وفاة ولده « إبراهيم » صـادفت حدوث ظاهرة خـسوف القـمـر ، وإن كثـيـرين رددوا دعـواهم بأن القـمر قـد شـارك بما يعني الحـزن على «إبراهيم»، ولذلك صحح لهم رسول الله هذا الأمر ،باعتـبار أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله الخالـق ، لا يفرحان لفـرح أحد ولا يحـزنان لحزن أحد ، وظـل عليه السلام يشرح لهم ويُوضح ، ،لما اشـتد بكاؤه على ولده الصغير ، اسـتنكر صحابيٌّ هذا البكاء من رسول الله ﷺ ، فعدّل مسار فـهمه للدين ، وأوضح أن البون شاسع بين البكاء الحزين ، وبين أي بكاء آخر ، الأول مردهُ إلى استـشعار الفرق بلا جزع ، والثاني مشدود إلى الجزع واليأس ، والقنوط وعدم الرضا بالقضاء .

ب ـ على أن موضوعية دراسة الموقف تؤكد على ما يلي :

١ ـ كان الرسول يتمنى حياة ابنه « ابراهيـم » ، لأن هذا مطلب البشرية والطبيعة والفطرة فيه . .

٢ ـ كان موته بـين يديه ، وهذا يخلق مزيد إحساس بألم اللوعـة والفراق والحنو الرحيم . . .

٣ ـ لقد تكرر هذا الموقف في حياته بوفاة أبنائه الذكور من أم المؤمنين «خديجة »

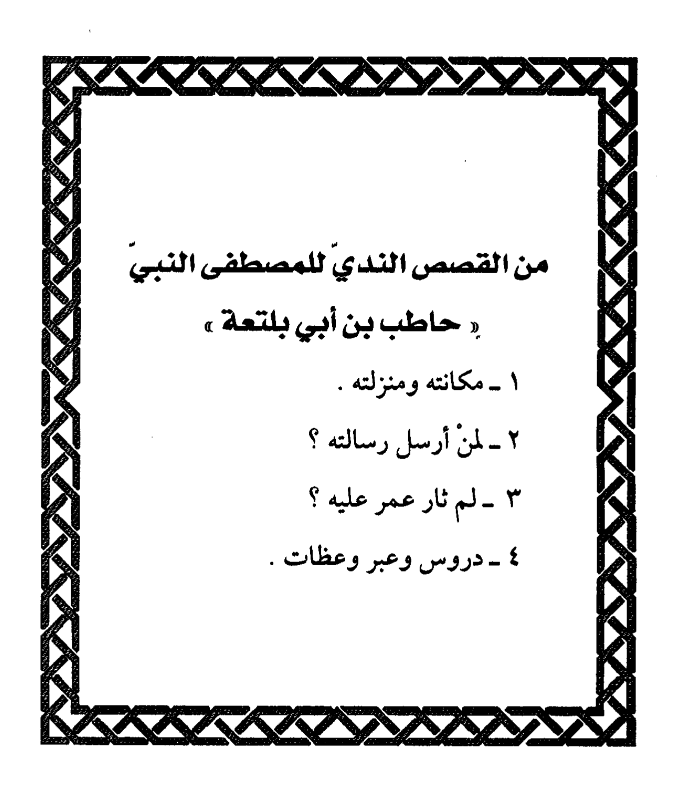
فكيف لا يتألم مثلاً ؟

٤ ـ أو لست تلتمس له العـذر فى البكاء على وفاة ابنه الصـغير ؟ ، والصغـير دومًا يعني الحاجة للعطف ، وللرحمة ، وللشفقة . . .

٥ ـ ويحكى عن رسول الله أن رسولاً جاءه وهو في المسجد مع صحابته ، بنبأ وفاة حفيدة رضيعته ، فبكى لسماع الخبر بكاءً مرًا ؛ وبينما هو كذلك ، إذ بصحابي يقول له : تنهـانا عن البُكاء ، ثم تبكي أنت يا رسول الله ، فردّ عليـه بقوله : «**إنما هى رحمة يودعها الله قلب من يشاء** » . ولقد ظلّ يردد يوم موت إبراهيم : «**والله إن القلب ليـخـشع ، وإن العين لتـدمع ، وإنا لفـراقك يا إبراهيم لمحـزونون** » [رواه الشيخان] .

حُقّ للوالد أن ينعي ولده ،وللأب الكـبير أن يـبكي طفله ، وتلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، والخيرُ دومًا ، في كل ما أراد الله وقدر وشاء . .

***



من القصص النديّ للمصطفى النبيّ

« حاطب بن أبي بلتعة »

١ ـ مكانته ومنزلته .

٢ ـ لمنْ أرسل رسالته ؟

٣ ـ لم ثار عمر عليه ؟

٤ ـ دروس وعبر وعظات .

حاطب بن أبى بلتعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

يرى المفسرون والباحثون في أسباب النزول القرآني أنها نزلت في صحابي جليل يُسمى « حاطب بن أبي بلتعة » . . .

فلقد جاءت إلى المدينة من مكة مولاة أبي عمر بن صهيب بن هشام ، واسمها «سارة» وذهبت إلى رسول الله ﷺ ، وكان يتهيأ لفتح مكة ، بعد أن نقض أهلها عهدهم معها ، فسألها : « **أمسلمةً جئت ؟**» قالت: لا : قال : «**فما جاء بك إلينا؟**» قالت :أنتم الأهل والعشيرة والموالى ، و لقد احتجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى ، قال لها :« **فأين أنت الآن من شباب مكة ؟**» وكانت مغنية فأجابته : بعد وقعة بدر لم يطلب مني شيء ، فحث رسول الله بني عبد المطلب وبني طالب فكسوها ، وأكرموها ، وأعطوها بسخاء كبير . . .

فجاءها « حاطب بن أبي بلتعة » و سلمها رسالة منه إلى أهل مكة ، وقد كتب فيها يقول : « إن رسول الله يريدكم ، فخذوا حذركم »

وأعطاها عشرة دنانير فى مقابل توصيل الرسالة ، و تكتم أمرها . . . .

وأخذت «سارة» رسالته ، وأخفتها فى ذؤابتها وشعرها ، وبدأت مبكرة رحلة العودة إلى مكة . . .ونزل وحي الله على رسوله المصطفى ، ليكشف سر الرسالة وخطرها ، فأرسل المصطفى ست فرسان على رأسهم «علي بن أبى طالب » ليلحقوا بها ، قبل وصولها ، وليعودوا بهذه الرسالة ، وقطعوا عليها الطريق وفتشوها ، فلم

يعثروا على شيء ، وهنا هـددها عليّ بالقتل إن لم تسلمها له ، فأخـرجتها من ثنايا شعرها وتركوها وشأنها ، وعادوا بالرسـالة وأرسل النبيُّ ﷺ في طلب حاطب فجاء وقد أفزعه الموقف ، وما توقعه من ردود وأفعال ، وسأله المصطفى عن دوافع سلوكه هذا وهو صحابي له في كل القلوب مكانة ومنزلة . . .

وأجاب رسول الله حزينًا مهموما :

يا رسول الله والله ما كـفرت منذ أسلمت ، ولا غـششتك منذ صـحبتك ، ولا أحببت أهل مكة منذ فارقتهم بالهجرة ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله في مكة من يمنع عشيرته ، ويصون عرضه ، أما أنا يا رسول الله فكنت غريبًا فيهم ، ولما كان أولادي هناك ، وأنا هنا ، فقد خشيت علـيهم منهم ، فأردت بما فعلت أن أتخذ عندهم يدًا ، ولقد علمت يا رسول الله أنه سينزلُ عليهم غضبه وبأسه ، ولكن كتابي إليهم لم يغـني عنهم شيئًا ، ولم يدفـع عنهم قدرا أو مكروهًا ، فلا تعـجل عليّ يا رسول الله ، ووالله ما فعلت ما فعلت شاكا في ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام أبدًا . . . وهنا طالب عمـر بن الخطاب المصطفى ﷺ بقطع عنـقه جزاء نفاقه ، فردّه المُصطفى ﷺ قائلاً له :

« على رسلك يا بن الخطاب ؛ فحاطـب صادق ، ثم ماذا يُدريك يا عُمر ؟ لعلّ الله قد اطّلع على أهل بدرٍ فقال لهم : « **افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » [(١)] .

وتعالوا نتأمل هذه القصة والتي تُمثل حادثًا خطيرًا :

١ ـ صدّق المصطفى الصحابي الجليل وقبِل عذره ، وهذا موقف محمدي كريم ، وإنساني ، ونادر .

٢ ـ زكّى سابق فضله حـينما أثنى على أهل بدر أجمعين ؛ لأنـهم الصفوة التي ضحت وافتدت بكرمٍ ونبلٍ ، حبّا في الله ، ودين الله ، ورسول الله . . .

٣ ـ يقينًا ظلّ موقف « حاطب بن أبي بلتعة » غصّة في حلقه طوال حياته ، بعد أن تجسد له حجم الخطر في مسلكه ، حتى مع قبول رسول الله عذره . . .

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري ص ٣١٦ طبعة بيروت .

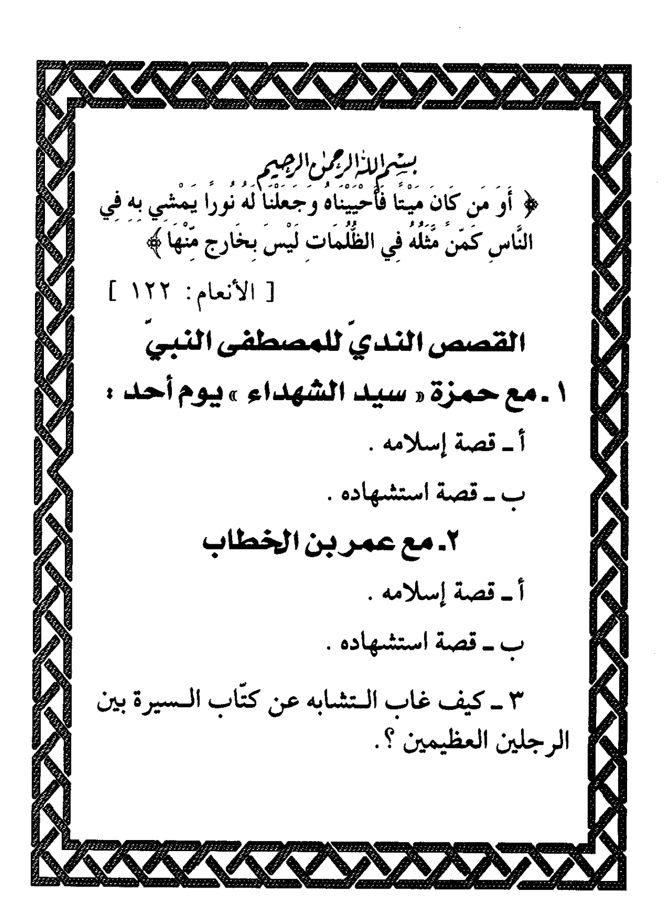
وبعد :

أ ـ ألا تحسون كمال الشخصية المحمدية وشموخها، في هذه القصة على غرابتها .

ب ـ ألا تدركون مدى إعزازه وحبه ، لمن شاركوه في غزوة بدر على خطرها ؟

جـ ـ أرأيتم الحكمة في نزول وحي الله على رسوله ؟ وبخاصة في الأحداث الكبرى ؟ صلى الله عليك يا رسول الله ، فلقد كنت ـ حتى في المحن والشدائد ـ تنتصف لأصحابك وأحبائك ، الذين أبلوا بلاءً حسنًا ، من أجل نصرة الدين وانتشاره وسيادته .

* * *



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾

[الأنعام: ١٢٢]

القصص النديّ للمصطفى النبيّ

١ . مع حمزة « سيد الشهداء » يوم أحد :

أ ـ قصة إسلامه .

ب ـ قصة استشهاده .

٢ . مع عمر بن الخطاب

أ ـ قصة إسلامه .

ب ـ قصة استشهاده .

٣ ـ كيف غاب التشابه عن كتّاب السيرة بين الرجلين العظيمين ؟.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ مع حمزة سيد الشهداء يوم أحد

﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢] .

يقول المفسرون ومعهم النيسابوري » [١] نزلت الآية في حمزة وعليّ ، وأبي لهب وأولاده فحمزة وعليّ ممن شرح الله صدورهم ، أما أبو لهب وأولاده ، فهم القاسية قلوبهم وأصحاب الضلال البيّن والكبير !!!

ب ـ ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

يقول النيسابوري [٢] : قال ابن عباس « يريد حمزة بن عبد المطلب ، وأبا جهل ، ويقول :«عمر بن الخطاب » كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، إنه أبو جهل بن هشام!

١ ـ لكل عقيدة رجالها ، ولكل ديانة أبطالها ، ولقد عرف الإسلام بطلين من رجال مكة ، كان لهما من الفضل في انتصار هذا الدين ، ما سُجّل بمداد من نور . . بطلان من أبطال الإسلام كانا يمثلان جناحين ، بهما حلّق الإسلام وغرّد ، وانتصر ، بل كان إسلام كل منهما ، وجعا لقريش ، وهمـا كثيبًا لأصحاب الحل والعقد فيها، ناهيك بتلك الفرحة العارمة التي عاشها الضعفاء المؤمنون حينما انتشر نبأ إسلامهما . . وحُقّ لرسول الله أن يدعو ربه بأن ينصر الإسلام بأحد العمرين ، فكان إسلام ابن الخطاب فتحا وحده ، بل وعزًا فريدًا ، ومن كان يطلق عليه : الفاروق والذي فرق بين الحق والباطل أولى بدعاء نبيّ الله ، وأجدر بثنائه وتزكيته ، حتى نزل القرآن الكريم على لسانه في مواضع شتّى ، ومع وجود شبه كبير بين البطلين العظيمين ، لم

---

(١) أسباب النزول ص ٢٧٦ طبعة بيروت .

(٢) أسباب النزول ص ١٦٧ .

يلتفت إليـه بما فيـه الكفاية ـ كتـاب السيرة ومـؤرخو الدعـوة ـ الأمر الذي يدهش، ويبعث على التساؤل والحيرة !!

٢ ـ من هنا : نقف عند البطلـين ، للعظة ، وللعلم ، وللبصـر بتاريخ عظـماء الإسلام، والتعرف على جوانب « الشخصية المحمدية » ومن خلال الأحداث الكبار ، كهدف نبيل ، وهدف عزيز كريم .

٣ ـ قـبل إسلامـهمـا : كان لكلّ مكانـةٌ وحظوة ومنزلة ، وبرصيـد الجبـروت والبطش ، والحـميّـة ، والحكمـة في قومـه ، فـضلاً عن السـداد ، وبُعـد النظر ، ورجحان الرأي ، وصلابة العزم .

٤ ـ وبعد إسـلامهمـا : كانا دعمًا للـدين الجديد ، ومنعةً تُعـمل لها الموازين ، وتُحسب لها ألف حـساب ؛ ولذلك كان افتقـارهما خسارة الخسـارة ، وفراغ الفراغ المخيف الحزين .

٥ ـ غيـر أن المدرسة المحـمدية : سـرعان ما خـرّجت أبطالا صنعوا الـنصر أو فرضـوه، فارتفعـت بهم سيوف حـاربت في سبيل الله ، وعـن سخاءٍ وجـودٍ كانت التضحيات مضرب الأمـثال . . . غطّت هذه المدرسة بالخريجين ، النقصَ والعوض ، قدعمت الدعوة وفرضت الدين ، وعلت كلمة الله .

ولكن كيف أسلم كلّ من البطلين العظيمين « حمزة وعمر » ؟

وكيف كانت وحدة المصير ؟ شهادة في سبيل الله ؟

وبإيجاز شديد نلخص هذه الأحداث الكبار .

أولا : إسلامُ حمزة بن عبد المطلب :

أ ـ كانت الدعوة تشق طريقـها وسط ركام الجاهلية وفسـادها ، وإفسادها ، ولم يكن من شك أبدا أن كثـيرين ممن يعاندونـها ، أو يطاردون المؤمنين بها ، قـد شغلوا أنفسهم بجوهرها ومستهدفاتها ، ولن نبعد أبدا إذا ما قدرنا أن شخصًا عظيم الهمة ، والعزيمة ، والرؤية ـ مثل حـمزة ـ قد شغله هذا الأمر ، حـتى بات يعقد ـ بينه وبين نفر موازنة بين ما تدعو إليه ، وبين الواقع الجاهلي على شططه ، وسفهه، وتجاوزه ،

وظلمه ، وتدنّيه !

ب ـ ولقد عاد من رحلة صيد وقنص ، لتخبره إحدى الجواري بأن أبا جهل بن هشام قد رمى ابن أخيه رسول الله برفث ونجس ، تهكمًا به ، أو استخفافًا ، أو مهانة ، فثارت ثائرته ، وعلا صوت غضبه ليعلو بقوسه ـ أبا جهل ـ وهو يتلطف ويستعطف:

يا أبا يعلى : أما ترى ما جاء به ؟ لقد سفّه عقولنا ، وسبّ آلهتنا ، وخالف آباءنا ؟ فرد عليه بغضب واشمئزاز ، ومن أسفه منكم ؟ تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ، وأن محمدًا عبد الله ورسوله » .

جـ ـ وهنا نزلت الآية الكريمة على نبيّ الله المصطفى :

﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

قارئي العزيز :

أو لست ترى ما نراه وأوضحناه ؟ كان إسلام حمزة ثمرة نخوة ويقين نبيل مستهدفات الدعوة ؟ لقد تأبى على ما كان يعبد قومه من أصنام وأوثان ، وكرر على سمعك قوله « لأبي جهل بن هشام » ومن أسفه منكم ؟ تعبدون الحجارة من دون الله! حتى ندرك أن إسلامه كان فتحًا كبيرًا ، ونصرًا مؤزرًا ، وأنه كان ثمرة اختمار فكرة ورؤية .

وقبل أن يكون حصاد عناد أو إصرار ، أو مكابرة قبلية عشائرية ،وجاهلية ، تستند إلى مذهبها « **انصر أخاك ظالما أو مظلوما** » وقبل أن يعدل الإسلام من هذا المذهب ، وليكون إيجابيًا وبنّاء !

د ـ انظروا كيف صفت مشاعره ، ورق وجدانه ، وسما إدراكه ، واحتقر ما كان يعبد قومه ، وأوشك أن يصل إلى قرار ، وجاء اعتداء أبي جهل على ابن أخيه، مجرد سبب ليصارح بما اعتمل به خاطره ، وما كاد أن ينطق به لسانه ، ويا سبحان

الله ، إنه نور السموات والأرض ، بل ونور القلوب ، ونور الصدور .

وهكذا اهتـزت مـكة عن بكرة أبيـهـا ، بهـذا الحـدث الخـطيـر ، والذي دعَّم المستضعفين الموحدين ، وفتح الباب على مـصراعيه أمام كل أمل أخضر ، ينمو على ضفاف الدعوة المباركة .

ثانيا : استشهاده يوم أحد :

١ ـ سواء أكان استـشهاده ثمرة إغراء من مالكه على منح قـاتله حريته ؟ أو كان نتيجة لاستئجار هذا القاتل الحبشي لحساب « هند بنت عتبة » زوج أبي سفيان ، فلقد سارت الوقائع في هذا اليوم الكئيب ، وفق ما تمنى أعداء الإسلام بمكة .

احتى القاتل اللعين خلف سـتر من تراب أو شجر أو حجارة ، وقد تهـيأ بحربته التي يجيد استخـدامها ، وما إن لاحت الفرصة حتى سدّدها نحـو حمزة ، فأصابت منه مقتلا ، فلقد غلبه الموت على الوصول لقاتله ، وحتى سحب القاتل حربته ، ثم سكن إلى هدوء الراحة والرضا بما فعل !!

ب ـ وحصل بعـد عودته إلى مكة على حـريته ، وتركهـا إلى الطائف هربا من المطالبين برأسه ، ثم قدم ضمن وفد على رسـول الله فطلب أمانه فأمنه ، وكان ملثّما يخفي وجهـه ، وما إن أزال اللثام حتى عرفـه المصطفى ، وقال له : « **أو لست أنت الحبشي ؟ قاتل حمزة يوم أُحد ؟!** » .

فرد عليه : بلى يا رسول ، ولقد أجـرتني وأمنتني ، ولقد كان ما كان مما أبلغت به، ولم يكن لي من مطلب سوى حريتي !!

جـ ـ وطلب منه رسول الله ﷺ أن يغيب عنه وجهه ، وحتى لا يحرّك فيه آلامًا وأحزانًا ورغبة جارفة في الثأر لمقتله .

د ـ يقول قاتله « حبشي » :

وتوفي رسـول الله ، وجاء مـن بعده أبو بكر الـصديق وخـرجت مع المقـاتلين المسلمين ، وكنـت قد أسلـمت على يدي المصطفى في طلب عـدو الله « مـسيلمـة

الكذاب» وقلت بيني وبين نفسي : ومن يدري ؟ ربما كانت نهـايته على يديّ ، حتى أكافأ بمقتله ، قتل حمزة . . وهكذا يسـرّ الله وأراد ، إذ كانت نهايته بحربتي ، وقبل الإجهاز عليه بسيوف المسلمين .

هـ ـ وتقول مراجع السيرة : توعد رسول الله أهل مكة ، ليمثلنّ بسبعين إن ظفر بهم جزاء ما فعلوا بعـمه الشهيد ، فلقد قال بعد أن علم بمحـاولة « هند بنت عتبة » أكل قطعة من كبده : « لئن أكلتها لن تدخل النار أبدًا »؛ لأن حمزة أكرم على الله ، من أن يدخل جـزء من نار جـهنم ، ومـا إن نزل وحي الله بآيات العـفـو والصـفح والصبر، في آخـر سورة النحل ، حتى قال ﷺ : « بل نصبـر ونعفو يارب» الآيات ١٢٦ ـ ١٢٨ النحل » [1] .

[عُد إلى كتابنا : تأملات قـرآنية لبحث الكثير من المعارف بشأن استـشهاد سيد الشهداء حمزة] .

ثالثا : إسلام عمر بن الخطاب :

أ ـ مضت الأيام بطيـئة ، وثقيلة ، ومريرة ، على أكـابر الطغاة في مكة ، ومنذ إسلام حمزة بـن عبد المطلب ، والذي كان له دويّه المخيف ، لقد جـردوا وقتهم كله للتفكير في أسلوب للخلاص من محمدّ نبيّ الله وديـنه معه ، واستقر رأي « عمر بن الخطاب» حينئذ على أن يريح مكة بيده وحده ، فلقد كان يمثّل ثقيلا رهيبًا في موازين العنف والجبروت ، وتقلّد سـيفه واتخذ وجهتـه بيت « الأرقم بن الأرقم » حيث كان رسول الله مجتمعًا بالمسلمين على ضعفهم .

ب ـ وقلة عددهم ، وشـاهده صحابي جليل ، كان يخـفي إسلامه ، ورأى في حركته ووجهته خطر الخطي على حيـاة المصطفى، فاعترضْ طريقه ليسأله : وإلى أين يا عمـر ؟ ويرد عليه في تصميـم وحزم إلى محمـد هذا الذي سفّه قريشًـا ، وعاب آلهتها ، وفرّق جمعها ورب الكعبة لأريحن مكة منه ، وراجعه ليتراجع ودون جدوى أو ترى قومه يتـركونه يا ابن الخطاب ؟ فأزاحه بيـده من طريقه وهو يردد لا نجوتُ إن نجا !! قال له : عليك بـأهل بيتك أولا يا عمر ، فسـأله ثائرا: أهل بيتي ، ومَنْ مِنْ

(١) كتب السيرة ، وأسباب النزول للنيسابوري ص ١٦٨ طبعة بيروت .

أهل بيتي ؟ فأجابه : أختـك فاطمة ، وزوجها سعيد معـها والله لقد أسلما ، توقف عمر ، ثم عاود سيره الدؤوب ، ولكن إلى وجهة أخرى إلى بيت أخته فاطمة ، ولم يكد يصل حتى وصلت إلى سمعه أصوات مختلطة لم يتبينها ، ودق الباب في عنف وغضب ، وفتحت له فاطمة ، بعـد أن أدركت خطر حضوره ، وقبل أن تخفي ورقة كانت في يدها .

جـ ـ جـاءها متسـائلا : ما هذه الأصـوات التي سمعـت ؟ أريني هذه الورقة ، وردت عليه ما سـمعت شيئًا، وحـاول أخذ الورقة منها ، فقـالت : وقد حالت بينه وبين زوجها فلطمها وأسال دمها ، افعل ما بدا لك يا عمر فنحن نشهد ألا إله إلا الله وأن محمـدًا رسول الله ، ودهش الرجل وعاد وطلب الورقة ، فردت مغـضبة: «إنه قرآن كريم في كتاب مكنون، **لا يمسه إلا المطهرون** » فاغتسل إن أردت قراءتها .

د ـ يقول العقاد في عبقرية عمر : واغتسل وبدأ يقرأ في هدوء ، وتؤدة ، وتأمل:

﴿ طه . مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ . إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ . تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ إلى قوله : **﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾** ثم بدأ همسـه يعلو ويرتفع : والله ما هو بقول بشـر . . وهنا ظهر فجأة صحابي جليل ، خـبأته فاطمة حين قدم عمر ، وكان مبعوث الرسول لفـاطمة وزوجها ، حتى يتعلما الدين والقرآن منه وقال : قلها يا ابن الخطاب تسلم والله ، لقد دعا النبي ربه ضارعا: « **اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين عـمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام** » ، ولتكن دعوة الرسول لك ، وسأل عـمر : أين أجدُ الآن رسـول الله ؟ وأجابوه فرحين سـعداء ، في بيت الأرقم بن الأرقم ، واتخذ وجـهته الجديدة ، وقـد ازدحمت أفكاره، وبدا دبيب نور الله يصل قلبه وروحه وخواطره.

هـ ـ وأصيب المسـلمون بهلع شديد ، حـينما جـاءهم صوته الجـهوري ، يعلن مقـدمه ، وقال حـمزة للمصطفى : أنا لـه يا رسول الله ، فدعني أفـتح الباب له : وجاءه الرد النبوي : « **بل أفتح أنا له الباب**» . . .وما كاد يدخل حتى أمسك المصطفى بتلابيبه ، ثم جذبه بشدة فخر على ركبتيه ، والرسول يقول : « **أما آن لهذا القلب أن**

يلين ؟ أما آن لك أن تنطق بها يا ابن الخطاب ؟ » وهنا قال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله .

قالها ، فكبّر المصطفى ، وكبّر المسلمون ، وعلت الفرحة كل الوجوه ، وملأت الطمأنينة دروب المشاعر .

وقال عمر : يا رسول الله ، ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟

فأجابه : « **بلى** » . . قال عمر : ففيم السّرية ؟

و - وكانت رؤية عمرية ، أسعدت ، وأبهجت كل المؤمنين ، وإن تركت أهل مكة في حزن وإذلال . وكيف لا ؟ لقد جرؤ الضعفاء لقد أعلنوا الدعوة غير مبالين بأهوال أو أخطار ، أو إيذاء : لقد خرج المسلمون في صفيْن ، على رأس الأول حمزة ، وعلى رأس الثاني عمر بن الخطاب ،ومن بينهما كان يمشي المصطفى مهللاً ، مكبرًا ، شاكرا الله رب العالمين [١] .

وهكذا كان يومًا لا ينسى ، يوم أسلم عمر الفاروق ، والله غالب على أمره ، وهو الحكيم الخبير العليم .

رابعا : استشهاد عمر بن الخطاب :

يقول كُتَّاب السيرة : إن عمر رأى في قومه أن ديكًا ينقره عدة مرات ، وطلب ممن حوله تفسير رؤياه فسكتوا ، بعد أن تبادلوا نظرات القلق على أمير المؤمنين .

أ - وبعد أيام معدودة ، طعنه مجوسي ، عدة طعنات بخنجر مسموم ، وهو مستغرق في صلاة الفجر إمامًا للمسلمين ، وأمسك بالقاتل ، وتساءل عمر وهو يعاني ما يعاني، تُرى من يكون قاتل عمر . ولما علم أنه عبد مجوسي ساخط وحانق، قال عمر : الحمد لله أن يكون قاتلي غير مسلم ، وحتى لا يفضلني بركوع أو سجود لله .

ب - ثم أوصى قائلا : احبسوه ، فإذا كان البرء ، فالعفو والتسامح والمغفرة،

(١) كتب السيرة .

وإن كانت الشهادة فالقصاص .

جـ ـ انظروا كيف يكون العظيم عظيمًا حتى في لحظات الوداع ؟ وانظروا كيف يكون العادل عادلا حتى مع قاتله ؟ وانظروا كيف تعتدل موازين الحكم ، ليعلو صوت العفو مع البرء ؟ وصوت القصاص إن جرى القدر بالموت ؟ هل كان وراء هذا كله رصيد الإيمان العمري ؟ بصدق الفطرة ، ونور البصيرة ، وحصاد الأيام؟ أم هي الصلابة العمرية ، تفرض نفسها في المحن والشدائد والأهوال الكبار ؟

خامسًا : وتبقى موازنة بين البطلين « حمزة وعمر » لتكون شاهدا على روعة الإسلام ، التي اتسعت للرجلين المتشابهين ، كما اتسعت « لأبي بكر وعمر » كرجلين مختلفين، ويا سبحان الله ، الذي أذاب في تؤدة وتمهل كل ما تصوره الناس اختلافًا .

أ ـ لأمرٍ ما كان إسلام كل من البطلين ، نقطة تحوّل في موقف أهل مكة من المستضعفين ، بعد ما كان حدثا مروعا للأكابر من الطغاة .

ب ـ ولأمرٍ ما لعب كلٌ منهما الدور الخطير لنصرة دين الله ، وإدخال روح البُشرى والفأل الحسن ، بل والثقة والطمأنينة في قلوب المسلمين .

جـ ـ ولأمرٍ ما : تكون وحدة النهاية ، شهادة في سبيل الله ، « فحمزة يسقط شهيدًا يوم أحد ، وعمر يسقط شهيدا وهو بين يدي ربه يصلي الفجر » .

د ـ ولأمر ما : يكون القاتل في الحالتين مشركا نجسا عند ارتكاب الجريمة الشنعاء، حتى وإن أسلم « حبشي » قاتل « حمزة » بعد لجاج طويل ، وحتى وإن جرى قتل « مسيلمة الكذاب » ليكافئ به مقتل « حمزة » على يديه بعد سنوات .

هـ ـ وإذا كان القرآن الكريم قد نزل على لسان « عمر » في مواقف عدة ، فإن القرآ الكريم قد نزل على رسول الله ، إشادة بإسلام « حمزة » عمه وبإجماع آراء المفسرين ، ودارسي أسباب النزول لقوله تعالى : ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الزمر : ٢٢] .

﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ**

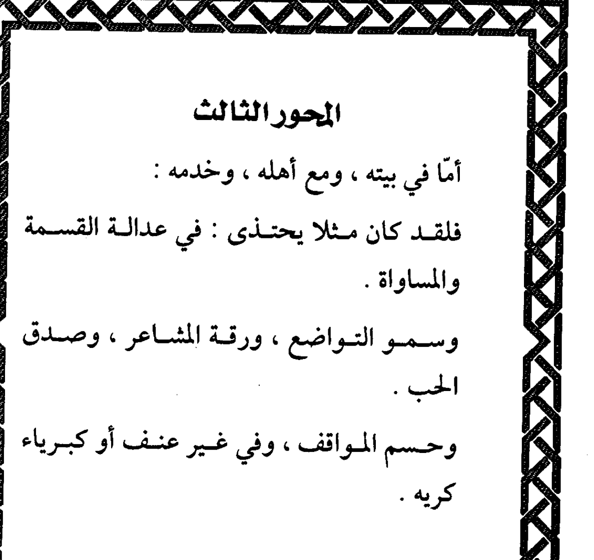
بخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

قارئي العزيز : لم تكن مصادفة محضة تلك التي جعلت إسلام عمر يأتي بعد إسلام حمزة بمدة ليست بعيدة طويلة ، مع أن إسلام كلّ منهما ، وكما قلنا: كان بمثابة زلزال رهيب ، هزّ مكة ، وطغاتها بضراوة وعنف ، وهو زلزال حقق للدعوة الكثير من الخير والفضل ، والسؤال هو :

هل كانت الدعوة قد اختمرت فعلا في خواطر الطغاة ، وأخذت مسارها في المشاعر ، والضمائر ؟ أم كانت استجابة السماء بضراعة ودعاء رسوله ، بأن يُنصر الإسلام بإسلام أحد العمرين ، بعد عمه « حمزة » ، ومهما يكن من أمر أو سبب آخر ، وراء حدوث ما حدث ، فإن البطلين كانا جناحين ، بهما طارت الدعوة ، وحلّقت وإلى حدّ كبير .

ترى : كيف غاب هذا التشابه بين الرجلين « عن كتاب السيرة » وكيف تجاوزوه وهم يتحدثون عن مرحلة ما قبل الهجرة المباركة ، من مكة التي لم تعد تنبت غير الشوك ، إلى المدينة المنورة برسول الله والمهاجرين والأنصار .

❊ ❊ ❊



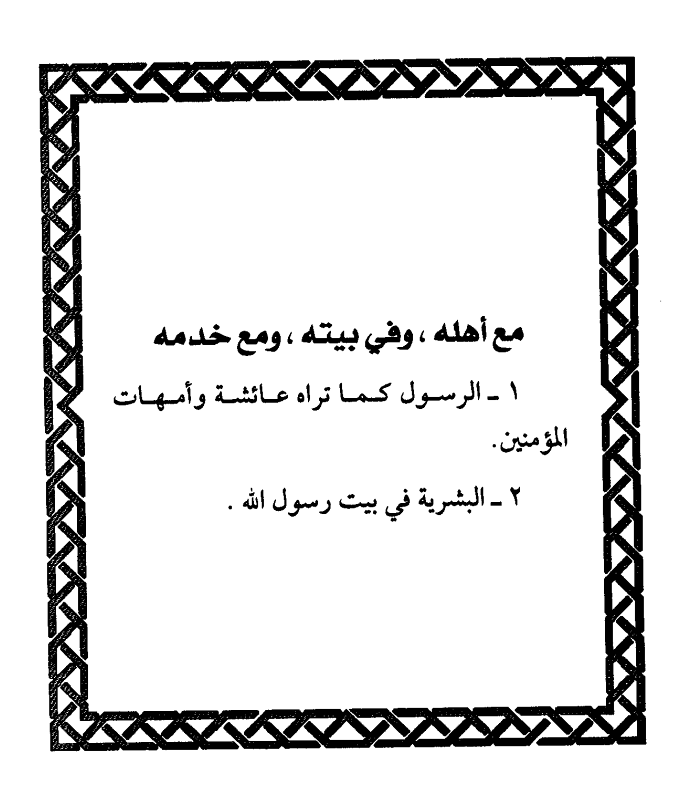
المحور الثالث

أمّا في بيته ، ومع أهله ، وخدمه :

فلقد كان مثلا يحتذى : في عدالة القسمة والمساواة .

وسمو التواضع ، ورقة المشاعر ، وصدق الحب .

وحسم المواقف ، وفي غير عنف أو كبرياء كريه .



مع أهله ، وفي بيته ، ومع خدمه

١ ـ الرسول كما تراه عائشة وأمهات المؤمنين.

٢ ـ البشرية في بيت رسول الله .

الرسول في بيته ومع أهله وخدمه

أ ـ رأى أمهات المؤمنين :

يجمعن على تواضعه ، وعدله ، وتسامحه ، ومساواته ، وإلى حدّ يجعله يقرع بين نسائه عند خروجـه لسفر أو غزو ، وأيتهنّ خـرج سهمها خـرجت معه ، إلا أم سلمة فقد تنازلت لعائشة عن يومها وليلتـها ، كسبا لمودة الرسول ووده ؛ لأنها كانت تدرك حبه للصّديقة بنت الصّديق . ومـن هنا كان تضرعه لربه ، ومناجاته ، ودعاؤه «**اللهم هذا قسمي فـيما أملك ، فلا تؤاخذني فـيما لا أملك** » ، ويقصد بذلك، ميله وحبّه ، وهواه .

وبينمـا تصف عائشة أخـلاقيـاته فتقـول : كان خلقـه القرآن ، وتصف غـيرها سلوكياته فتقول : كان في خدمة أهله : يكنس بيته ، ويخصف نعله ، ويرتق ثوبه.

وتضيف أخرى قـائلة : لم يضرب خادما ، ولم يجرح شعـور أي من مواليه ، بل كان يبادلهم الحب الصادق والودّ الكريم .

وإذا ما أضفنا إلى هذا كله ، سخاء كرمه ، ونبل مودته ، وإلى الحدّ الذى يدعو فيه ربه لخـادمه « أنس بن مالك » أدركنا عظمة هذا النبـى الكريم ، الذي امتدح الله أخلاقـياته في قـرآنه الكريم ولتكون شـهادة سمـوّ ربّاني ، تبقـى على مرّ العـصور والدهور والأيام ، ناصعة ، ناطقة بالإعجاب .

ب ـ تذكر كتب السيرة : أنه وعائشة احتكما لأبيها في موقف خلاف ، فما كان من أبي بكر الرقيق إلا أن وكزها بعنف أغـضب الرسول حتى قال له:« **ما كان أغنانا عنك يا أبا بكر** ». . لقد كان حليما ، وحكيما معا ، وإذا كانت علاقاته كلها مع غير أهله محكومة بهاتين الصفتين ، فإن علاقته بأمهات المؤمنين ، تظل في سموّ لا يطال أبدا، فعندمـا تظاهرن جميعـا ـ تقريبا ـ ضده ، طلبـا لزيادة النفقة ، غضب غـضبًا شديدًا ، وعلى مدى شهر كامل ، قاطعهنّ ، ولم يتجاوز المقاطعة إلى أذىً أبدًا .

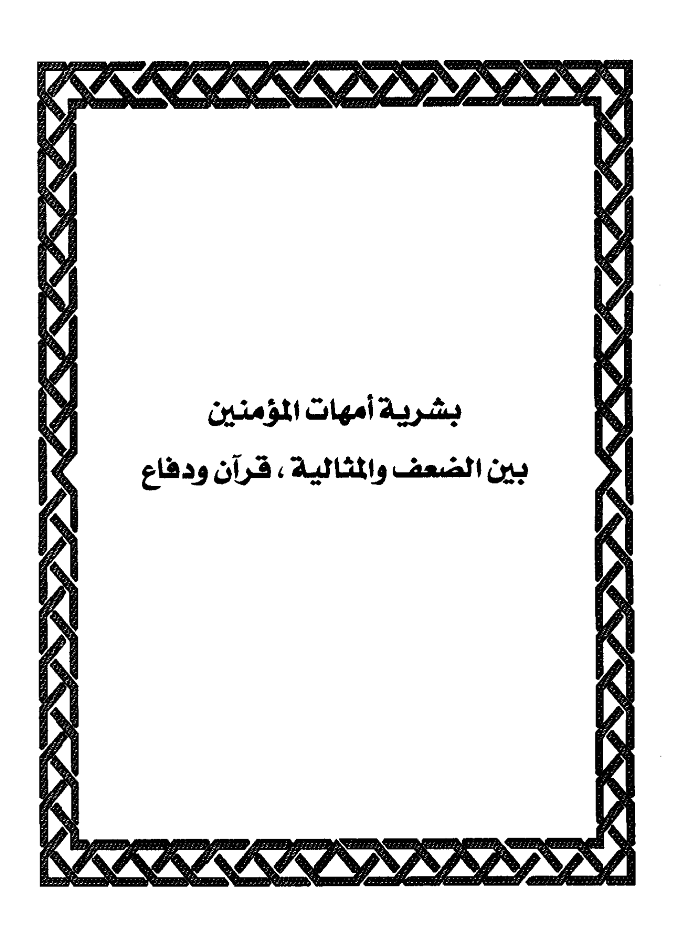
وهذه واحدة من سلوكياته أو مثالياته . . وبرغم أن تظاهرهن كان يخفي أكثر من

سبب غير طلب زيادة النفقة [قصة التحريم برواياتها العديدة] .

إلا أنه لم يلحق بهن المكروه ؛ ولذلك عندما نزل وحي الله على رسوله ، بحقهن فى التخيير آثرن جميعا إلا واحدة البقاء وعدم التسريح بإحسان ، وهذا موقف عظيم، يشهد له ولا يشهد عليه .

جـ ـ وإذا كنا قد أعجبنا بسلوكياته المدهشة ، فإن بيته الطاهر ، قد شهد بعض تصرفات من نسائه أمهات المؤمنين ، تستحق أن نقف عند أمثلة لها ، للتأمل ، وللعظة ، وللدرس المفيد ؛ لأنها سلوكيات من صنع هذه البشرية ، بكل ما تعنيه من الضعف ، أو من مردود الطبيعة والفطرة ؛ ولذلك كله كان وحي الله يتكفل بتصويب هذا السلوك ، أو تصحيح مساره ، ليتلاءم مع الكمال المنشود ، والكمال لصاحب الكمال .

* * *



بشرية أمهات المؤمنين

بين الضعف والمثالية ، قرآن ودفاع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات : ١١] .

أ ـ يقول الباحثون في أسباب النزول : إنها نزلت في « عمارة بن قيس » وقد كان في أذنه وقر ؛ ولذلك كان حريصًا دومًا على أن يجلس قريبًا من رسول الله ، حتى يتيسر له السماع والأخذ عنه . . ولقد حضر متأخرًا ذات يومٍ ، فأخذ يتخطى الرقاب فسخر منه أحد الجالسين حينما سأل عنه :

مَنْ يكون هذا ؟ فأجيب بأنه « عمارة بن قيس» فقال : ابن فلانة !!! يقصد أمه التي كانوا يعيّرونه بها في الجاهلية ، فنزلت الآية فيه ، وفي من عيّره وسخر منه .

ب ـ ويقول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

١ـ كانت السيدة « عائشة » تسخر من قصر « أم سلمة » أم المؤمنين وكانت «حفصة بنت عمر » تسخر منها معها .

٢ ـ ويروي أنس أن «أم سلمة» كانت تربط وسطها بحزام من قماش ، ثم تترك جزءًا منها يتدلى من خلفها ، فكانت عائشة تسخر منها قائلة لحفصة : انظري ماذا تجر من خلفها ؟ أو ليس شبيهًا بلسان كلب ؟ فنزلت : ﴿ **وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ** ﴾ !!!

٣ ـ كما تذكر بعض كتب السيرة :أن أم المؤمنين « صفية بنت حيي بن أخطب » اشتكت للرسول سخرية بعض نساء الرسول منها قائلات لها : أنت يهودية وابنة يهوديين ، فقال لها المصطفى ﷺ : «**قولي لهن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد بن عبد الله فمن منكن من لها مثل هذا الفضل ؟ !!!**» فسكتن عنها بعد هذا القول !!!

تُرى هل تكون أم المؤمنين معـصومة من الخطأ ؟ أم يجري عليهـا ما يجري على كل البشر ؟

من هنا كان نزول وحي الله على المُصطفى ﷺ ، في مواقف عدة ليصحح مسار السلوك البشري فـي أمهات المؤمنين ، وصولاً إلى الكمال المأمـون والمنشود ، وتلك نعمةٌ من نعم الله وفضله ، وإنه لحكيمٌ حليم .

عرف بـيت النبوة بعض مـواقف لأمهـات المؤمنين ، ظلت دليلاً على الضـعف البشري الطبـيعي ورجحانه ، على ما كـان يُرجى من سلوك لا يُغضبُ رسول الله ، السمح ، والصبـور ، فلقد تظاهرن ضده طلبًا لزيادة النـفقة ، وقاطعهن قُـرابة شهرٍ كاملٍ ، بل وصل الأمـر إلى طرح الأمر على صحـابته للرأي والمشورة ، وشجـعه « عليٌ بن أبي طالب » على طلاقهن جميعًا ، فعسى الله أن يُبدله خيرًا منهن . . .

وبقى رأي « عليّ » هذا غُـصة في حلقِ عـائشة ، ولم تغـفره له أبدا ، وحـتى أيدت معاوية ضـده ، بل كانت معركة « الجـمل » التي انتصر فيـها عليّ شاهدًا على استمرار خصومتها له ، نظير رأي طرحه ، ومع هذا ردّها مُكرّمة ومعاتبةً أيضًا . . .

جـ - وربما سأل سائلٌ : كـيف أعطت « عائشة » أو « حفصة » أو غـيرهما من أمهات المؤمنين الحق في السـخرية أو التعييـر من أخرى ، مع أنهن ألصق برسول الله وأعرف بالحلال والحرام فيه ؟ والجـواب : أن الكمال لله وحده وأن العصمة لا تكون إلا لنبيّ،وفي كل ما أمره الله بإبلاغـه ، أما ما عدا ذلك فمتروك أمـره للبشرية على ضعفها ، وللمثالية حينما يعلو صوتها على كلّ صوت سواها . . .

لقد ذم الله السخرية من الآخرين ؛ لأنها انتـقاص من كرامة المؤمن ، فضلاً عن أنها تُمثل اعتداء على حرمـة المال ، والنفس ، والعرض ، وقيم الدين تنتصف لحرية العقيدة ، وحرية السلوك . ومن هنا جـعلت من قُتل دون ماله ، أو عرضه ،أو دينه شهيدًا ، كما جعلت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . .

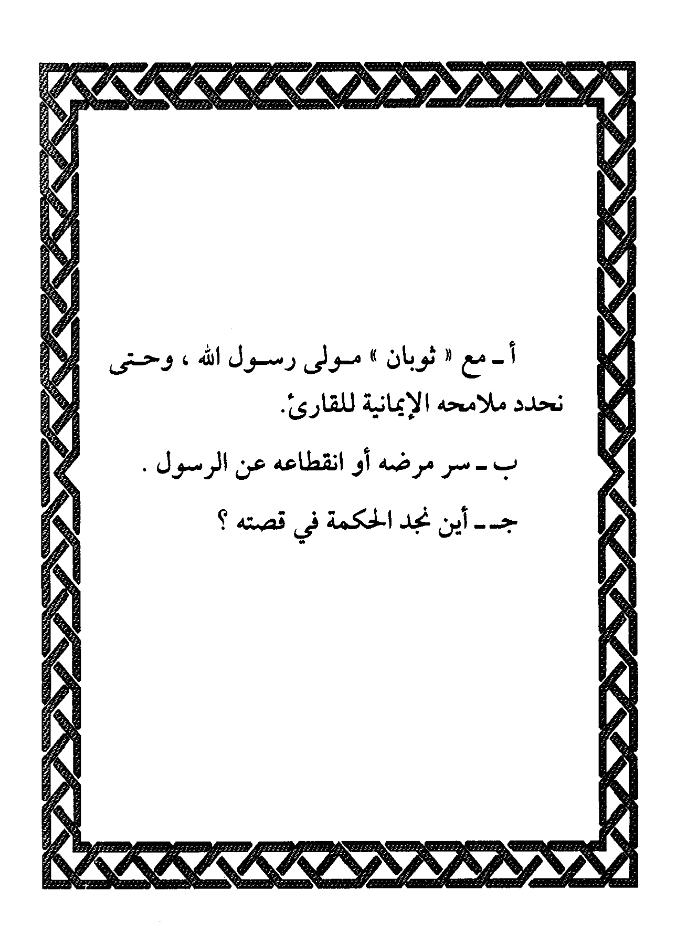
وحينما نتـساءل عن موقف أم المؤمنين « عائشة » من « أم سلمـة » أو « صفية » أو« مريم » ؛ فإنـنا نستغفـر الله لنا ولها ، خاصة وأننا أُمـرنا بأن نأخذ نصف الدينِ

عنها، وما كان لها هذا دون استحقاق واقتدار عظيم . .

تقول مراجع السيرة :

إنها عـاشت مع رسول الله أقل من عشر سـنوات ، وإنها عاشت بعده أكـثر من أربعين سنة ، وإنها جندت نفسـها فيها ، لرواية الحـديث وفقـه التشريع ، وهذا كله رصيد خـيرٍ وستر يصب في خـانة « التقوى » وتلك هي المدخل السـامي والوحيد ، لكسب رضاء الله ، وعفوه ، وغفرانه ، ومثوبته ، ورحمته . . .

* * *



أ ـ مع « ثوبان » مولى رسول الله ، وحتى نحدد ملامحه الإيمانية للقارئ.

ب ـ سر مرضه أو انقطاعه عن الرسول .

جـ ـ أين نجد الحكمة في قصته ؟

قصة ثوبان مولى رسول الله

« درس وعظة »

أ ـ عن علاقة الصطفى بخدمه ومواليه ، تروي أم المؤمنين عائشة فتقول :

جاء رجلٌ من صحابة النبي فقال : يا رسول الله : تعرف مدى حبّي لك ؟ وتعلقي بك ؟ وحرصي على أن أُجالسك وألقاك؟ فإذا ما عدت إلى البيت أحسست بثقل وطأة الليل وطوله ، لقد حرمني منك يا رسول الله ، فإذا كان هذا في الدنيا فكيف يكون الأمر في الآخرة ؟ ثم يستطرد حزينًا . . . مكانتك فوق كلّ مكانة ومنزلة ، وبالتالي ستُحرم في الجنة ـ إن دخلناها من رؤيتك كيف نصير على هذا يا رسول الله ؟

ولم يُجب النبيّ عن السؤال فلقد تغشّاه الوحي ، ،نزل عليه بقول الخالق المُبدع،الحكيم العظيم :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] .

ب ـ قال الكلبي : نزلت هذه الآية في « ثوبان » مولى رسول الله ﷺ ، والذي عُرف بحبه الشديد للمُصطفى ، وحرصه على رؤياه ، ومُجالسته ، وكان رسول الله يبادله الحب ، والود ، و الإخلاص . . . فلقد غاب أيامًا لم يره فيها المُصطفى ، فسأل عنه ، وجيء به ، ولما وقع نظره ﷺ عليه ، حتى بدا الألم يكسو وجهه الشريف . . . لقد تغيّر حال « ثوبان » وظهر عليه الأسى والمرض . . . فسأله عن دواعي الغيبة ، والمرض ، فردّ عليه قائلاً حزينًا : تعرف حجم حُبّي لك وحرصي على مُصاحبتك ، واستمتاعي برؤياك ، ولقد فكّرتُ في هذا كله ، وأشفقتُ على نفسي هل سألقاك في الآخرة يا رسول الله ؟ وكيف ؟ إن منزلتنا ـ إن دخلناها ـ ويقصد الجنة ـ دون منزلتك ، كيف نحيا بدون رؤياك يا حبيب الله ؟ . . . وتكفّل

وحيُ الله حينئذٍ بالرد :

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] .

وفرح ثوبان ودبّ نشاطُ الصحّة والأمل الطيب فيه ، وظلت قصته درسًا وعبرة للمؤمنين ، أو يترك الحب كل هذا الأثر ، وكل هذا المردود من الإعجاز والإبهار؟ . .

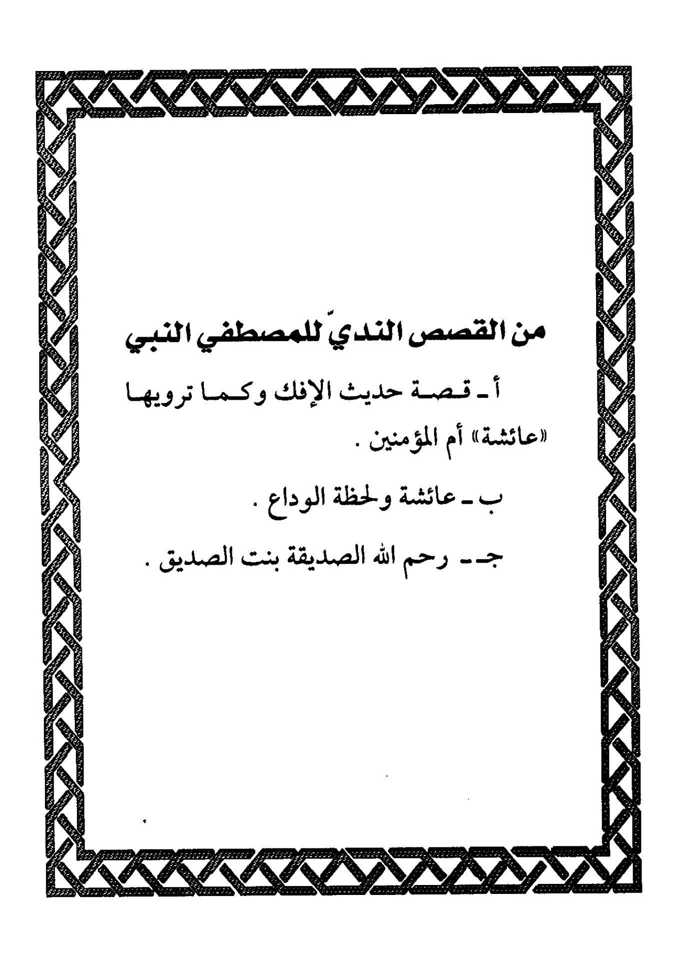
متى قامت مثل هذه العلاقة بين الناس أجمعين . .

أن تحب :فهذا أمرٌ واردٌ طبيعي . . . أن تقلق على من تُحب ، فهذا أمرٌ جائزٌ وممكن . . ولكن أن تحب حتى المرض ، ومم ؟ من مخاوف تبدو في غير أوانها ، فهذ عجيبٌ مدهش . . . علاقة المُصطفى بالناس أجمعين ـ بما فيهم من كارهين وحاقدين ، وحاسدين ، كانت علاقة ودّ عطوف ، ورقيق ، وإنساني فما بالك إذا كان هذا الحب لصاحبٍ أو صديق ؟

جـ ـ لقد ارتفع النبي الكريم بعلاقته إلى سماء لا يصلها غيره ، ولا يتجاوزها سواه وحسبه هذا الشرف . . .

تحدثنا عن علاقته بخدّمه ، وثوبان واحدٌ منهم ، وانظر كيف وصل الحب بينهما إلى هذا المستوى . . . ثوبان يحب ويخاف على حبه حتى المرض . . . ورسول الله يحب ويُخلص بل ويفتدي من يحب ، حرّا أو عبدًا ، غنيا أو فقيرًا ، سيّدًا أو مملوكًا، صاحبًا أو عدوًا، حاقدا كريها [ويا سبحان الله] الذي صنعه على يديه، حتى يكون الرحمة ذاتها ، والحبّ نفسه ، فإذا ما أعجزه الرد ، عاوده وحي الله به ، أولست تراها كما أراها بشرية سامقة ، عالية ، وودودة ، ورحيمة ؟ . .

أو ليست سمة نبوة ٌ، ودليل رسالة ، وشهادة اقتدار وصلى الله عليك يا رسول الله ، صلاة دائمة متلازمة ، تهب بنسائم الإشفاق ، والود العطوف ، الكريم والأصيل . .



من القصص النديّ للمصطفى النبي

أ ـ قصة حديث الإفك وكما ترويها «عائشة» أم المؤمنين .

ب ـ عائشة ولحظة الوداع .

جـ ـ رحم الله الصديقة بنت الصديق .

حديث الإفك بهتانٌ عظيم

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ هذا هو المطلع المُشرق لسـورة النور ، يرصد ما تضمنته من آياتٍ وصـفها الله تعالى بأنها بيناتٍ ، تستهدف، ثبـات اليقين ، وصحيح الإيمان ، والتذكرة الدائبة الدائمة بفـضل الله وكرمه ، وليـعود للقلب صدقه ، وللـعقل حكمته ، ومـضاؤه، وتحكيمه ، ضـمانا للاستقرار المنشـود ، ودرءًا للشبهات ، ودفعًـا للشكوك المُفتراة ، وإبراء لأم المؤمنين عائشـة بنت الصديق ، والتي تروي بنفـسها وقـائع حديث الإفك اللعين ، وبكل ردود أفعاله فتقول :

« كان الرسول ﷺ إذا خرح في سفر يقرع بين نسائه فأيهن خرج سهمها خرجت معه :

قالت: فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيـها سهمي فخرجت معه وذاكُ بعد نزول آية الحجـاب ، فأنا أُحـملُ في هودجي ، وأنزل فيـه مسـيرنا ، حـتى فرغ من غزوته وقـفل ودنونا من المدينة ، وأذن ليلة بالرحيل ، فقـمت حين آذنوا بالرحيل ، ومشـيت حتى جاوزت الجـيش ، فلما قضـيتُ شأني أقبلت إلـى الرحل ، فلمست صدري فـإذا عقدٌ من جزع ظفـار فد انقطع ، فرجـعت فالتمـست عقدي فحـبسني ابتغـاؤه، وأقبل الرهطُ الذين كـانوا يرحلون، فحـملوا هودجي فرحلوه على بعـيري الذي كنت أركبه ، وهم يحسبون أني فيه . . .

قالت أم المؤمنين : وكانت الـنساء إذ ذاك خفافًا لم ينشـهن اللحم ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حـينما رحلوه ورفعوه ، وكنت جـارية حديثة السن فبعـثوا الجمل وساروا . . ووجـدت عقدي فـجئت منازلهم وليس بها راعٍ ولا مـجيب ، فيـممت منزلي الذي كنت فيـه ، وظننت أن القوم سيـفقدوني فيـرجعوا إليّ . . . فبـينما أنا جالسـةٌ في منزلي غلبتنـي عيناي فنمت ، وكـان « صفوان بن المُعطَّل السـلمي » قد ذهب من وراء الجيش فـأدلج ، فأصبح عند مـنزلي فرأى سواد إنسـانٍ نائم ، فأتاني

فعـرفني حين رآني ، وقد كـان يراني قبل أن يُضـربُ عليّ الحجاب ، فـاسـتـيقظتُ باستـرجاعه حين عـرفني ، فخمَّرتُ وجـهي بجلبابي ووالله ما كـلّمني بكلمة ، ولا سمعت منه غير استرجاعه ـ ثم أناخ راحلتـه وركبتها فانطلق يقودها حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا في حـرّ الظهيرة ، وهلك من هلك فيّ ، وكان الذي تـولّى كبره منهم ، زعيمُ المنافـقين « عبد الله بن أبي بن سلول » فـقدمنا المدينة فاشـتكيت حين قدمتـها شـهرًا، والناس يفـيـضون فـي قول أهل الإفك ولا أشـعـر بشيء أبدًا ، وآلمني في وجعي، أني لا أرى من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل فيسلم ثم يُسلّم فيقول : « **كيف تيكم ؟** » فذاك يحزنني ولكن لم أشعر بالشر ، حتى خرجت بعد نقاهتي مع أم مسطح قبل المناصع [مكان لقضاء الحاجة] وكان هذا ليلاً ، ،لما فرغنا من شأننا عثرت أم مسطح ، وأمـها خالة أبي بكرٍ الصديق ، عثرت في مرطها فقـالت: تعس مسطح ،فقلت لها : بئسما قلت ، أتسـبين رجلاً شهد بدرا ؟ قالت أو لم تسـمعي مـا قال ؟ قالت : ومـاذا قال ؟ فـأخبرتني بمـا قال أهل الإفك فازددت مرضًا إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، ودخل عليّ الرسول ثم قال :« كيف تيكم؟» قلت : تأذن لي أن آتي أبويّ ؟ قـالت: وأنا أريد حينئذٍ أن أتيـقن الخبر من قبلهمـا فأذن لي ، فجئتـهما فقلت: يا أماه ، مـاذا تحدث به الناس ؟ قالت : يا بنية هوني عليك فـوالله ما كانت امرأة قط وضـيئة عند رجلٍ ولها ضـرائر إلا أكثرن عليهـا ، قلت : سبـحان الله أو يتحـدث الناس بهذا ؟ وبكيت تلك اللـيلة ، حتى أصبحتُ لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحلُ بنومٍ أبدًا . . . ثم أصبحت أبكي فدعا الرسول « علي بن أبي طالب » و« أسـامة بن زيد » لمعرفـة رأيهما خـاصةً وقـد غاب الوحيُ كثيرًا عنه . . يقول عليّ : يا رسول الله إن الله لم يُضيق عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل جـاريتها تصدقك ، فـدعا المصطفى : « بريرة » جاريـتها وسألهـا عنها فقالـت : يا رسول الله ، ما نعلم عنها إلا خـيرًا وما شاهدت من أمـرها ما يُريب ، والذي بعثك بالحق ما رأيت منها إلا أنها جـارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها فتأتي الدواجن فتـأكله . . وهنا صعد الرسول المنبر واشتكى للـمسلمين ما ردده زعيم المنافقين ، وكـانت تشتـعل فتنة بين الأوس والخـزرج ، لولا حكمتـه وبعد نظره . .

تقول عائشـة : وبكيت يومى هذا بُكاءً مرا كاد يتقطَّعُ منه كـبدي . . ودخل الرسول فجلس ولم يجلس عـندي ، من ترديد أهل الإفك ما رددوا ظالمين كاذبين ، وتشـهد الرسول ثم قال : « **أما بعـدُ يا عائشـة فقد بلغني عنك كـذا وكذا ... فـإن كنت بريئة فسيُبرّئك الله، وإن كنت قد ألممت بذنب فاستغفريه يغفر لك ، وتوبي إليه** » .

قالت : فلما أنهى الرسول مقالته بكيتُ حتى تقلّص دمعي ، وحتى ما أحس منه بقطرة واحدة . . قلت لأبـي : أجب رسول الله يا أبي ، قال الصـديقُ حزينًا : والله ما أدري ما أقول له : فقلت لأمي: أجيبيه يا أمي ، فرددت ما قال أبي فقلت : علم الله أني بريئة ، والله مـا أجد لي ولكم مثلاً إلا مـا قال أبو يوسف: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ** ﴾ .

قالت ثم تحولت واضطجعت على فراشي وأنا والله أعلم أنه سيبرئني ، ولكن ما تصورّتُ أن يُنزَّلَ فيّ قُـرآنا يُتلى لأنني أهون عنده من أن يُنزل بشأني مـا ينزل لإثبات براءتي . . وتُضيف وتغشاه الوحي ثم سُرّى عنه ، فقال ضاحكًا : «**أبشري يا عائشة فلقـد برأك الله بـقـرآنه الكريم** » ، ثم تلا علينا الآيات من (١١) وحـتى نهـاية الآية العشرين من سورة النور . . وهنا قالت أمي : قومي يا عائشة إلى رسول الله ، فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمدُ إلا ربي الذي أثبت براءتي .

قالت : وكان أبي ينفق على مـسطح لفقره ، فقال: لن أنفق عليه بعـد ما قال ما قال من حديث أهل الإفك ،فنزل قوله تعالى: ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ فقال أبو بكر : بلى أحب مغفرة الله . . وأعاد لمسطح ما كان قد قطعه عنه من مُساعدة [١] .

ويروي الزهري عن عروة عن عائشة أنهـا قالت : كان أبو أيوب الأنصاري حين أخبـرته امرأته بما يردد أهل الإفك ، يقول : سبـحانك ربي ما يكون لنا أن نتـحدث بهذا سبحانك إنه بهتانٌ عظيم. قالت: ونزل جبريلُ على رسول الله بقوله :

---

(١) رواه الشيخان ، من أسباب النزول للنيسابوري ص ٤٣ طبعة بيروت .

﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]

ب ـ وتحكي هذه القصة الموجزة والتي تحدد ملامح « عائشة أم المؤمنين » ، وابنة «الصديق » وحدثت في لحظات الوداع وعلى مشارف لقاء الله . . .

ويحكي النيسابوري (١) فيقول : استأذن «ذكوان » مولى عائشة وهي تغالب آلام الموت، ليزورها ابن عبّاس فقالت لابن أخيها « عبد الله بن عبر الرحمن بن أبي بكر»: دعني من ابن عبّاس الآن، ومن تزكيته لي فرد عليها : إنه من خير بنيك ، وإنه لقارئٌ لكتاب الله، وإنه لفقيهٌ في دين الله وقد طلب زيارتك فأذني له ، فقالت: فأذن له يا عبد الله ، ودخل ابن عبّاس عليها فقال لها : بعد سلام وجلوس: البشرى يا أم المؤمنين ، فما بينك وبين أن يذهب عنك كلّ أذى ، ونصب ، ووصب ، فتلقي الأحبة محمدا عليه السلام وأصحابه ، إلا أن يُفارق الروح الجسد . . .

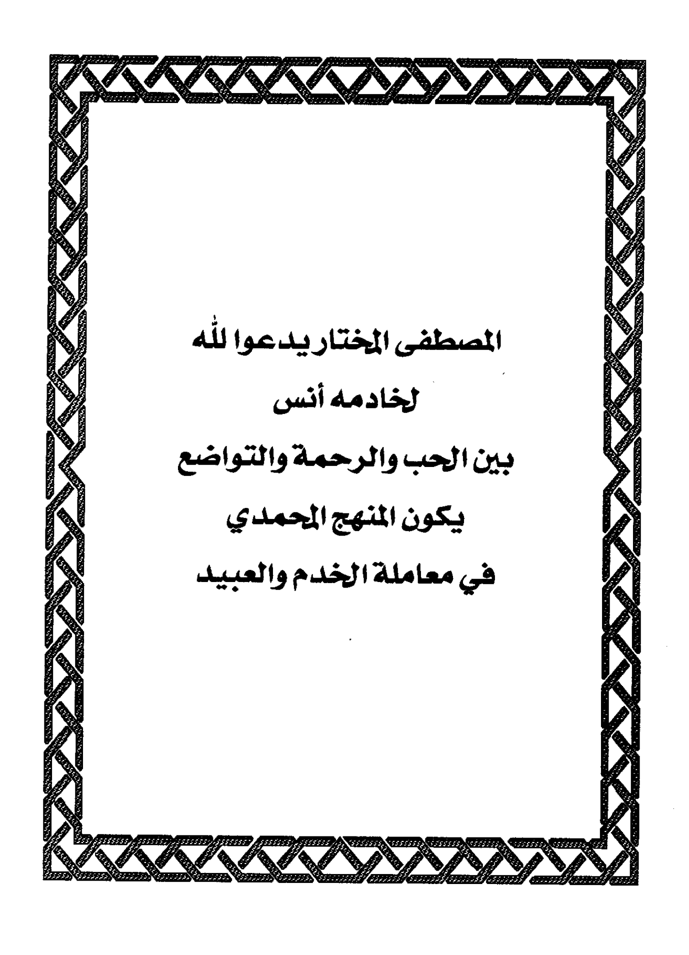
يا أم المؤمنين لقد كنت أحب أزواج رسول الله إليه بعد « خديجة » ولم يكن يحبُ إلا طيبا ، فأنزل الله براءتك في القرآن الكريم ،من فوق سبع سماوات ، فليس في الأرض مسجدٌ إلا ويُتلى فيه هذا القرآن ، آناء الليل والنهار .

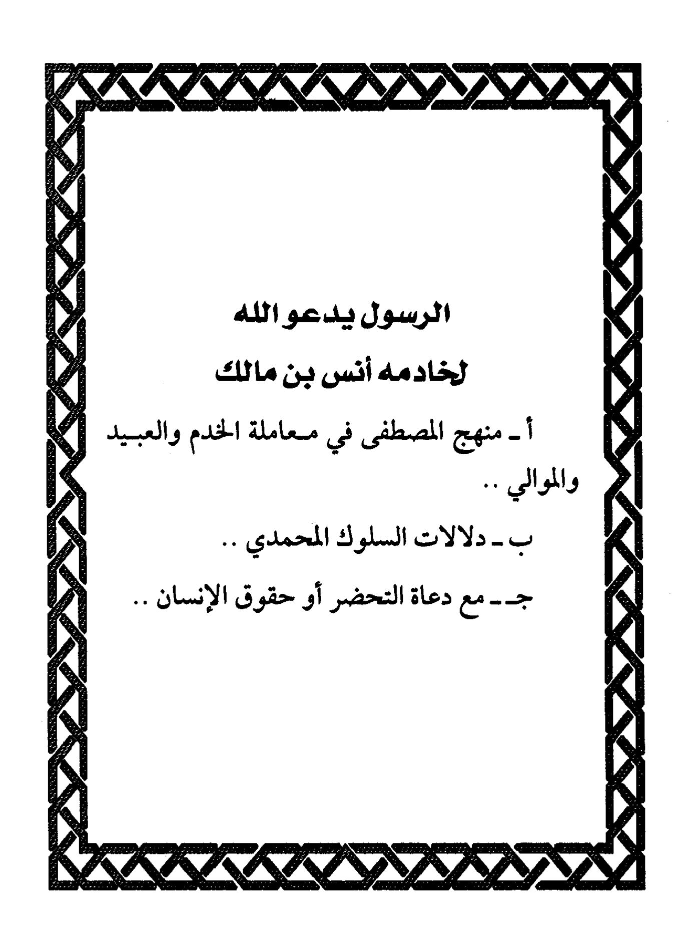
يا أم المؤمنين ، وسقطت قلادتك يوم أو ليلة الأبواء ، فاحتبس النبي في المنزل والناس معه ، في ابتغاء طلبها حتى أصبح الناس على غير ماء فأنزل الله تعالى : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ [النساء: ٤٣] وكان في ذلك رخصة للناس ، ورحمة بسببك يا أم المؤمنين، والله إنك لمباركة . . وترد عائشة وهي تُودع دنياها : دعني يا ابن عباس من هذا ، فوالله لوددتُ أن أكون نسيًا منسيا . .

أو أدركتم مسحة التواضع لله ؟ فأي صفاء روح كهذا الصفاء؟ إنه واحدٌ من ثمار المدرسة المُحمدية ، برصيد الإيمان ، وصدق التدين ، وحق للمسلمين أن يتعلموا منها، وأن يأخذوا نصف دينهم عنها ، وكفاها فخرًا أن تكون ابنة أبي بكر الصديق ، وزوج رسول الله ، بل أحب أزواجه إليه ، غفر الله لنا ولها وهدانا إلى صراطه المستقيم . . [عد إلى كتابنا المرأة في ظلال الأنبياء] .

---

(١) أسباب النزول : ٢٤٤.


المصطفى المختار يدعوا لله
لخادمه أنس
بين الحب والرحمة والتواضع
يكون المنهج المحمدي
في معاملة الخدم والعبيد



الرسول يدعو الله لخادمه أنس بن مالك

أ ـ منهج المصطفى في معاملة الخدم والعبيد والموالي ..

ب ـ دلالات السلوك المحمدي ..

جـ ـ مع دعاة التحضر أو حقوق الإنسان ..

الرسول يدعو الله لخادمه « أنس بن مالك »

هذا الصـحابي الجليل واحـدٌ من رواة الحديث عن رسـول الله ، وتلك شـهادةٌ بعظمة بصيرته ، وصدق إيمانه ، وكمال خلقه ، وعلو شأنه ،وروائع أمانته . .

وأدركت أمه هذه المـنزلة فيه ، فطلبـت من نبي الله أن يدعو له ، فـدعا ربه له بأربع :

١ ـ كثرة المال. ٢ـ كثرة العيال. ٣ـ طول العمر. ٤ ـ دخول الجنة .

يقول أنس بعد أن قطع رحلة الحياة الـطويلة والمديدة : وتحققت دعوات الرسول لي الثلاث ولم يبق إلا غير الأخيرة ، وأهلاً بها وشوقًا إليها . .

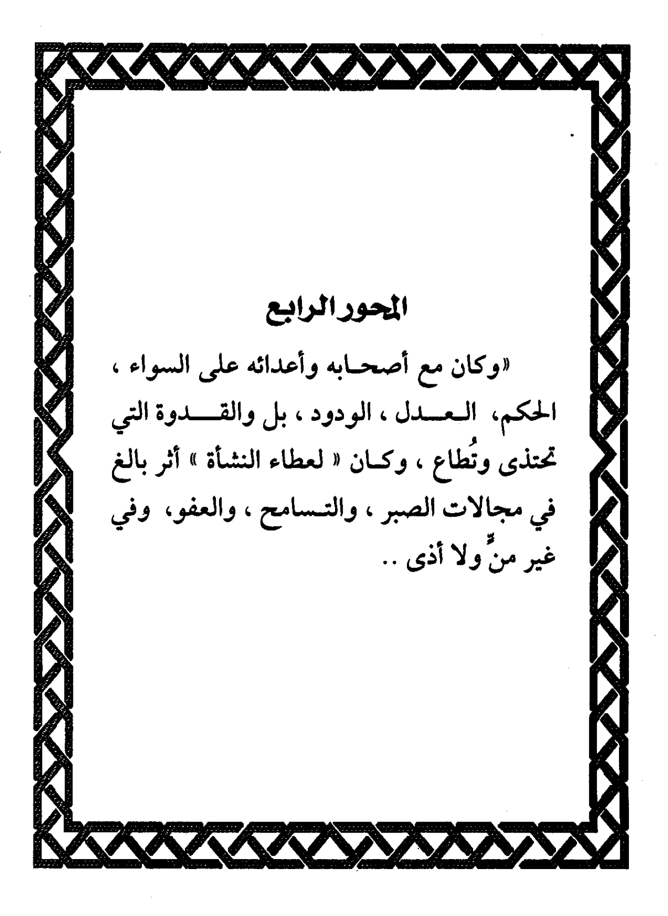
نبي الله ـ مع زحام التبعات والمسؤوليات ـ يجد لديه الوقت للدعاء لخادمه ؟ فهل هي الفطرة الطيبـة فيه ؟ أم هي الرحمة الودودة التي عُـرف بها ، وبُعث وأرسل ؟ أم هي فيضٌ مكنونٌ حبه لأحبائه وأصحابه ؟ حتى إذا كانوا خدمًا أو عبيدًا ؟

لقد حدد أبعاد منهجه في معاملة العبيد والخدم والموالي بقوله ﷺ : « **أطعموهم مما تطعـمون ، واسـقوهم مما تـسقـون ، وألبسـوهم مما تلبـسون ، ولا تُكلّفـوهم بما لا يطيـقون ، فإن كلّـفتمـوهم فأعـينوهم فهم إخـوانكم** ..» تُرى : ماذا أبقى هذا النبي العظيم لدعاة التحضـر وحماة حقوق الإنسان من بعده ؟ هل سمعـتم عن شريعة لها مـلامح هذا المنهج الإنساني المحـمّدي،مـن سمـوّ ونبل؟ أو لستم تُدركـون من هذه الملامح مدى حرص الدين على تحـقيق مبدأ المساواة بين البشر ؟ إنـها تساؤلات تفتح الطريق أمام إشـراقات التشـريع ، وبقدرته الخـارقة على الإنجاز والإعـجاز . . . ويا سبحان الله . . .

تتحدث بعض أمهات المؤمنين عن رسول الله في بيته فيقلن : « **كان يخدم أهله، وكان يكنس بيـته ، وكان يخصف نعله ، ،كـان يرتق ثوبه ، وما أغضب خادمًـا ضربه أبدًا** » ويقول أنس بن مالك: « **خدمت رسول الله ﷺ عشر سنوات لم يقل لي لشيء**

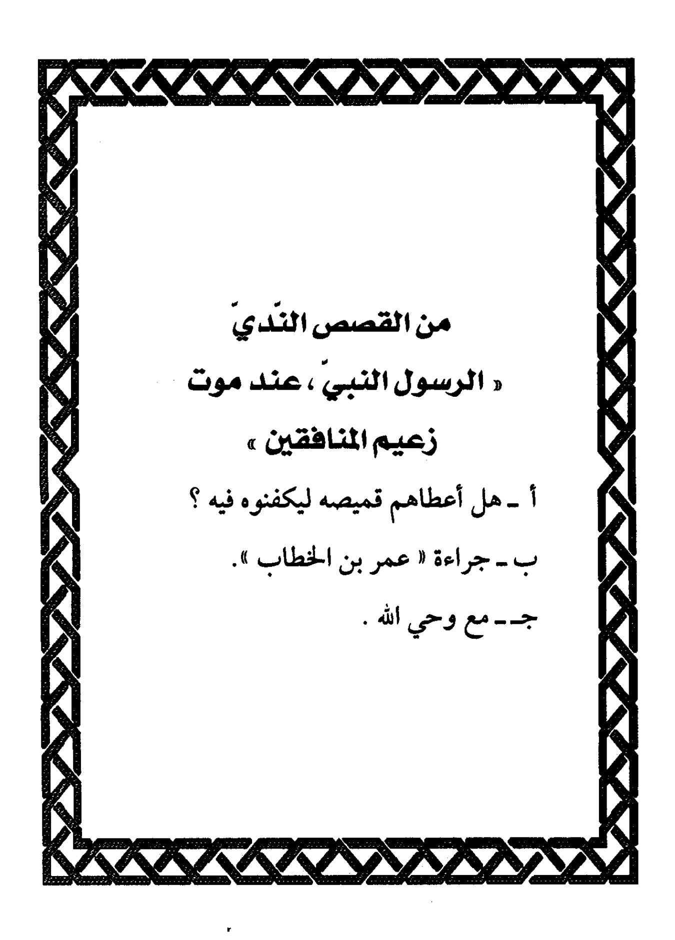
فعلته لم فعلته ؟ ولا عن شيء تركته لم تركته ؟ » وإنها لمثالية تستأهل الحب والإعجاب معًا . أو ندهش حينما نستعيد صُور حبّ خدمه ومواليه وصحابته له؟ . .لقد كان حب عطاء يساوي بين الجميع ، رأيناه مع أنس ، وعشناه مع زيد وثوبان ، فزيدٌ قد آثر خرمته وصحبته ، على رجوعه لأبيه ، بعد أن اختار رسول الله أبا ورحيمًا ، وودودا كريمًا ، وهذا ثوبان يشكو له مرارة الأسى من مخاوف أمرضته، مخاوف من أن يُحرم رؤياه في الجنة لبعد المسافة ما بين المنزلتين ، ويسكت المصطفى لينزل وحي الله بقوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠] لم يكن دعاء الرسول لخادمه « أنس بن مالك » تميُّزًا أو تفردا ، مثلاً ، بل كان قطرة من طوفان حب صادق وصدوق للجميع على السواء ، حب مبعثه صدق الانتماء ، وصحيح اليقين ، وكمال الإيمان ، حب صادف أهله ومُستحقيه . . عد إلى كتابنا « تأملات قرآنية » ، وإلى كتابنا « وكان عظيمًا في بشريته »

ونقول في النهاية : أولى بمن لم يعرفوا الإسلام أن يتعرفوا على منهجه المحمدي في معاملة الخدم ، والعبيد ، والضعفاء ، حتى يُدركوا جوانب العظمة فيه، أو أسرار اشتها الفخار به أو الانتماء إليه ، ،وقبل فوات الأوان كما يقولون !!!



المحور الرابع

«وكان مع أصحابه وأعدائه على السواء ، الحكم، العدل ، الودود ، بل والقدوة التي تحتذى وتُطاع ، وكان « لعطاء النشأة » أثر بالغ في مجالات الصبر ، والتسامح ، والعفو، وفي غير منٍّ ولا أذى ..



من القصص النّديّ

« الرسول النبيّ ، عند موت زعيم المنافقين »

أ ـ هل أعطاهم قميصه ليكفنوه فيه ؟

ب ـ جراءة « عمر بن الخطاب ».

جـ ـ مع وحي الله .

الرسول النبى عند موت زعيم المنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم

أ ـ ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٨٠] .

ب ـ أ ـ ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون : ٦] .

جـ ـ ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨٤] .

١ ـ تؤكد الآيات كلها على عدم جدوى استـغفار رسول الله للمنافقين ؛ لأنهم ـ وبمحض الإرادة ـ أصروا على كـفرهم بالله ورسوله ، ولأنهم اختـاروا الضلالة على الهدى وجبت مقاطعتهم أحياء أو أمـواتًا ، كما حرمت الصلاة عليهم ، لأنهم ليسوا أهلا لمغفرة أو رحمة أو مودة .

٢ ـ جعل القرآن علة التـحريم ، فسقهم وضلالـهم ، وموتهم على هذا الفسق، وهذا الضلال المبين .

٣ ـ وتحكي سيرة ابن هشام وأسباب النزول للنيسابوري [1] .

أ ـ القصة على النحو التالي :

لما مات « عـبد الله بن أبيّ بن سلول » زعيم المـنافقين ، جاء ابنه (وكـان مؤمنا ورعا صادق الإيمان إلى رسـول الله فقال له : يا نبيّ الله أعطني قيمـصك حتى أكفنّه فيه، واستغفر له يا رسول الله ، وصلّ عليه .

فأعطاه قمـيصه ثم قال : « **آذني حتى أصلي عليه**» ، فآذنه . . فلما أن أراد أن يصلي عليه جـذبه « عمر بن الخطـاب » وقال له : أليس قد نهـاك الله عن الصلاة عليه وعلى المنافقين ؟ فردّ عليه رسول الله قائلا : « **يا عمر : أنا بين خيـارين أستغفر**

---

(١) سيرة ابن هشام وأسباب النزول للنيسابوري ص ١١٣ طبعة بيروت.

لهم، أو لا أستغفر لهم »، فصلى عليه ، ثم نزلت الآية الكريمة (٨٤) من سورة التوبة فترك الصلاة عليهم » (١) .

ب ـ ويحكيها ابن عباس في نفس المرجع فيقول : دُعَي المصطفى للصلاة على «عبد الله بن أبيّ » حين موته ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه ، وقف « عمر بن الخطاب » في صدره ليقول لرسول الله ، يا رسول الله ، أعلى عدو الله «عبد الله بن أبيّ » القائل كذا وكذا يوم كذا [يعدد مواقفه] ورسول الله يبتسم ، حتى إذا أكثر عليه قال له الرسول ﷺ : « **أخر عني يا ابن الخطاب ، إني خيّرت فاخترت ، لقد قيل لي : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ . ولو علمت يا عمر أنّي إن زدت على السبعين غفر الله له لزدت** ».

قال عمر بن الخطاب :« وهو الذي روى تلك القصة التي سمعها ورواها عنه [ابن عباس] ثم صلى عليه رسول الله ، ومشى معه ، فقام على قبره حتى فرغ منه.

يقول عمر رضي الله عنه : وعجبت لجراءتي على رسول الله يومئذ ، ووالله ما كان إلا يسيرًا حتى نزل وحي الله بقوله تعالى : **﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾** الآية ، فما صلى بعده على منافق ، ولا قام على قبره ، حتى قبضه الله إليه .

جـ ـ ويقول المفسرون :سئل المصطفى ﷺ ما فعل الله « بعبد الله بن أبيّ » فأجاب : « **وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله** » ، ثم أضاف قوله : « **والله ، إني كنت أرجو أن يسلم به ألف رجل من قومه** » .

القارئ العزيز :

١ ـ لعلك أدركت حرمة النفاق ، وخطر النفاق !!!

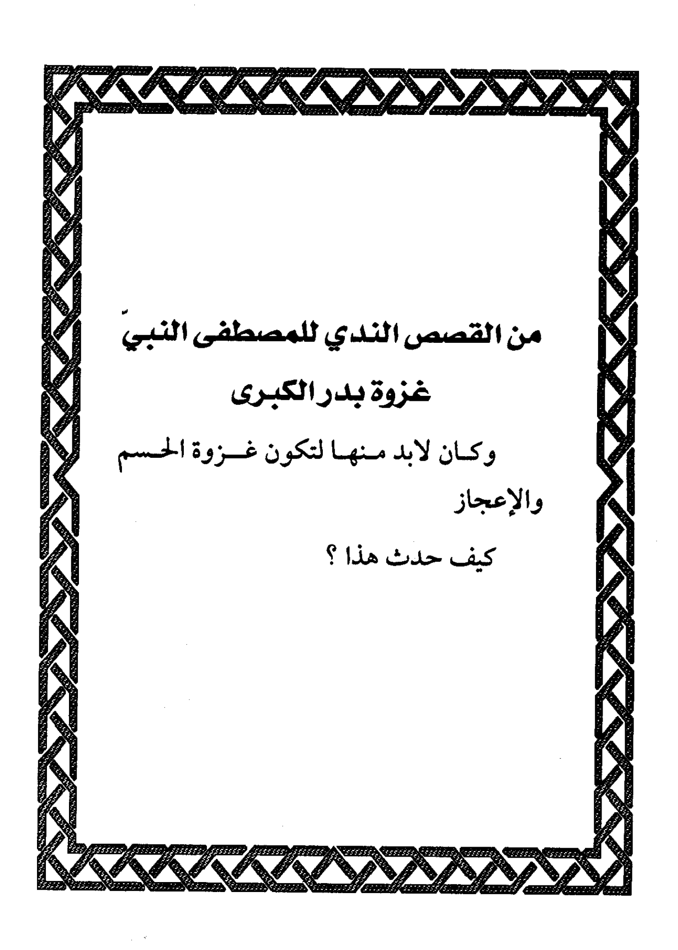
٢ ـ ولعلك قد تعرفت على حب المصطفى لأصحابه ، واتساع صدره لهفواتهم وجزائهم وبخاصة لمن كانوا يئنون تحت وطأة النفاق وضغوطه .

٣ ـ ولعلك لمست حرص رسول الله على دخول الناس في دينه .

٤ ـ تُرى : كم كان الرسول عظيما ؟ وكم كان حليما ؟ وكم كان بالجميع رحيما؟ فلا حُرمنا أبدا شفاعته ، ورضاه ، وصلى الله عليه في كل وقت وحين .

---

(١) رواه البخاري ومسلم من أسباب النزول للنيسابوري يرحمه الله ص ١٩٧ .



من القصص الندي للمصطفى النبيّ

غزوة بدر الكبرى

وكـان لابد مـنهـا لتكون غــزوة الحسم والإعجاز

كيف حدث هذا ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

أ ـ ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

ب ـ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال : ٧ ، ٨] .

جـ ـ ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الأنفال : ٤٣ ، ٤٤] هذه النصوص القرآنية نزلت بشأن « غزوة بدر » أولى غزوات المصطفى ﷺ ، ونقف للتأمل في سورة الأنفال ، لنلاحظ بدهشة بالغة ما يلي :

أ ـ أن جملة آياتها خمس وسبعون آية .

ب ـ أن أكثر من الثلث ، يدور حول هذه الغزوة المباركة ، والتي جرت في رمضان.

جـ ـ أنها تتحدث عن أسبابها بتفصيل معجز .

١ ـ أنها جرت ليحق الله الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين .

٢ ـ وليميز الله الخبيث من الطيب .

٣ ـ وليقضي الله أمرًا كان مفعولا .

٤ ـ وليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة .

٥ ـ وليحق الله الحق ، ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

أو رأيت تحديداً دقيقًا لمسببات هذه المعركة الطاحنة والأولى ، بين من هاجروا مستضعفين ، وبين طغاة مكة وجبابرة الكفر فيها ؟ وحتى تدرك « ضراوة العلو

الدعوي » بعد عامين فقط من الهجرة ؟

وتتلاحق أحداث الغزوة : لتبقى منهـا عظة العظة ، ودروس الدروس والعبر ، ويأتي حدث الأسرى وبكل ما نزل فيه من قرآن وتشريع ، ويسأل المصطفى صحابته الرأي .

أ ـ فمن مطالب بالثأر واستئصال شأفتهم ، بعد أن مكن الله نبيه منهم .

ب ـ ومن مطالب بالعفـو والصفح الجميل ، فعـسى أن يهديهم ربهم ، ليكونوا للإسلام والدين عدة وشكيمة .

جـ ـ وتتغلب بشرية المصطفى المبعوث رحمـة للعالمين ، ليقبل من الأسرى الفداء بالمال أو بتعليم أطفال المسلمين « في لفـتة محمدية » تسبق عصرها وزمـانها ، لتؤكد على العلم والتعلم ، وسـيلة لإعزار الدين وجماعة الموحـدين ، وينزل القرآن الكريم معاتبا الرسول على الميل إلى الصفح وقبول الفدية ، بعد سابق ما نزل بهم من أذى ، على أيدي الآثمين الموزورين من أهل مكة [٦٧ ، ٦٨ من الأنفال] .

د ـ وهكذا كان انتـصار رسول الله في أولى غـزواته بشارة خير لشـيوع دين الله وغلبته وسيادته . . . وحتى يبقى للإعجاز الرباني طعمه المميز ، والغالي ، والفريد، وصدق الله الحكيم:

١ ـ ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] .

٢ ـ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] .

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ . إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ١١ ـ ١٣] .

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ [التوبة : ١٤ ، ١٥] .

وأرادت اليهودية الآثمة الغادرة، عن قصد وسوء تدبير ، الخلاص من رسول الله بالسمّ

فكان الوحي ، وكان القصاص

وصدق الله العظيم :

﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ٦٢] .

﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال : ٧١] .

يهودية تدسُّ السمَّ لرسول الله

أغضبها عجز اليهود ، وأهل مكة عن قتله ، والخلاص منه ، فلقد كتب معاهدة مع اليهود ، فور نجاح هجرته ، وشكّل بهذه المعاهدة سياجًا متينًا يدعمه ودعوته ومن آمن بالله وبه .

عاهدهم على الدفاع عن المدينة إذا ما تعرضت لخطر ، ولهم دينهم ، وللمؤمنين معهم أيضـا ، وظلّوا يتحينون الفرص ، للانقضـاض على هذه المعاهدة ، و أما هذه اليهودية القاتلة فلقد ضاقت به ، ورأت أنه ﷺ لا يردّ هدية ، وأنه يأكل طعام أهل الكتاب ، فـظلت تجمع المـعلومات بشأن ما يحبّ في الذبيحـة وأعدت شاة للأكل ، بعد أن أغرقـت كتفها بالـسم ، وقدمتها لـرسول الله هدية مودة، ومحـبة ، وإعزاز مفتعل وكـاذب ، ومدّ المصطفى يده للكتف ، ليأخذ منها قطعة لحم ، فـتغشاه وحي الله ليحذره من سمومـها ، بينما امتدت يد صحابي إليها كان حـاضرا ، فأخذ قطعة ولاكها في فمـه ، وابتلعها ، فكان فيها حتفـه وهلاكه وموته !!! وطلب رسول الله ﷺ إحضار المرأة ، وسألهـا عن دافعها لقتله ، فردّت غـاضبة : إنك تدعي النبوة ، ولقد قلت بيني وبـين نفسي : إن كان دعـيا وكاذبا ، فسـنريح الناس منه ، وإن كان صادقًـا فالله يحميـه وينجيه ؛ ولذلك أشـهد أن لا إله إلا الله ، وأنك فعـلا رسول الله. . . ونادى رسول الله عـصبة الـقتيل وأهله ، وسلمـهم هذه الآثمة ، فـإن مات الصحابي قتلوها به قصاص عدل وشـرع ، وإن سلِمَ فالأمر أمرهم فيها ، ولا تثريب عليـهم . . ومات الرجل المؤمن ، وقـتلوها به ، والنفس بالنفس كـما يقـول الله ، والشرّ بالشرّ والبادي أظلم .

انظروا إلى الرحمة التي عرف بها رسـول الله وبعث ، كيف مال إليها لولا موت الصحابي ، وانظروا في هذا السلوك الدمويّ ، الذي يمثّله صنيـعها الموزور ، لتدركوا أن إجرام وتآمر اليـهود ، فطرة معوجة فـيهم ، وطبيعة غـادرة وظالمة وآثمة على مرّ التاريخ !! إن رسول الله لم يظلمـها ، ولم يلحق بها مكروها أو أذى ، فلم كل هذا

الغدر الكريه ؟

وإنهـا امرأة ، والمرأة كـما تحـكي عن نفسـها ، مـخلوق ناعم ، وجنس رقـيق لطيف.

تُرى : وإلى حدّ لم يبلغـه معظم القتلة من الرجال ، تجـاوزت هذه اليهودية كل طاقـات الظالمين ، وعدوان المعـتدين أو ليس هذا السلوك الدمـوي دليلا على أصـالة الشر والإثم ، والتدبير الخسيس ؟ أنظلمـهم بهذا الواقع المرّ ، أننصفهم بما ليس فيهم مثلا ؟ أندّعي كذبا ؟ أم أننا نقرر مألوفـا معهودًا ، هل أحداثهم أو شرور غدرهم في فلسطين سوى التأكيد اليومي واللحظيّ على التصاقهم الشديد بالخيانة والتآمر!! .

قبَّـح الله صنيعـهم ، وكشف نواياهم وسـرهم ، وسقـاهم من نفس الكأس ، ليظلوا العبرة ،والمثل على مرّ التاريخ . .

[طالع القصة بتفصيل أكثر في كتابنا . . المرأة في حياة الأنبياء] .

* * *

المحور الخامس

وفي أتون المعارك ، والغزوات ، والأحداث الكبار، ظل القائد الشجاع الحكيم ، والجبل الأشم الصامد ، والثابت ، المطمئن إلى وعد الله، بالنصر المبين ، وتخطي المخاطر بسلام

مع الحدث الكبير

أ ـ وقال كتّاب السيرة : إن إسراء رسول الله ومعراجه ، كان تسرية وتسلية له .

ب ـ ونقول بعد التأمل : بل كان ذروة تكريم لنبيّ الرحمة والحياء .

وكان إسراء الرسول ومعراجه معجزة المعجزات

١ ـ **ويجمع كتاب السيرة** : على أنّ حدث الإسراء والمعراج ، إنما كان تسرية وسلوى عند رسول الله بعد عام الحزن، وسوء ما واجه به أهل الطائف وثقيف رسول الله ، حينما ذهب إليهم ، طامعًا في هدايتهم ، فأغروا به سفهاءهم ، وأطفالهم وعبيدهم ، ليرجموه بالحجارة ، وليطاردوه شر مطاردة !!!

ولقد نفذوا ما طلب منهم ، حتى سال دم المصطفى على وجهه ، وجلس في ظل جدار بستان يهودي ، وقد فاضت ضراعته إلى الله ، بعبارات محفوظة حزينة ملتاعة .

٢ ـ **يقول كتاب السيرة** : إن حادث الإسراء كان تكريمًا لرسول الله ، ونقول نحن: إنه كان أكثر من التكريم ، لشخص المصطفى ، والذي أكدت وقائع هذا الحدث الخطير ، على أنه كان بصريح اللفظ ووضوحه ، نبيّ الحياء ، كما كان بصريح اللفظ في القرآن رسول الرحمة : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . نقف مدهوشين أمام حوارات المصطفى مع « موسى » وربه بشأن فرضية الصلاة وطلب التخفيف فيها. . إذ عندما وصلت فرضيتها إلى خمس صلوات، وطلب من رسول الله مراجعة ربه حتى جاء جوابه : « **لقد جعلها الله خمس صلوات ولها ثواب الخمسين ، وإنني لأستحيي من الله** ».

٣ ـ ودارس الحديث والأدب : يقف عند نصوص نبوية عديدة ، تشيد بالحياء، وتمتدحه وتثني على أصحابه، باعتباره صفة سموّ وكمال ،ويروى عن المصطفى قوله:

أ ـ «**الحياء خير كله**» ، و« **الحياء شعبة من شعب الإيمان**» .

ب ـ «**الحياء من الإيمان**» ، ويصف الكثيرون رسول الله بقولهم:

جـ ـ كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها [١].

د ـ ويقول الحكماء : لا حياة لمن لا حياء له . . ويقول الشاعر :

---

(١) المنهل الحديث جـ ٣ .

إذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤه　　ولا خير في وجه إذا قلّ ماؤه

حياؤك فاحفظه علـيك فإنه　　يدلّ على فعـل الكريم حياؤه

قارئي العزيز : تُرى ونحن نطرح استسفارات ربما لم يجربهـا خاطر جميع كتاب السيرة ، وإن كانت تستهدف العلم والمعرفة والبصر السليم ، يحدونا صدق مع الله ، وصدق مع النفس ، هل نكون بـهذا الطرح مثلا قـد تجاوزنا حدود المشـروع وحدود المباح ؟ ونجـيب قبل أن يتطوع متنطع أو متـشدد ، أو متعـجل بالإجابة . . لا وألف لا، بل وحاشا لله القادر ، فلقد ظلت وستظل أحداث ووقائع الإسراء والمعراج ، سرّ الأسرار بين رسول الله وجبريل عليه السلام .

أ ـ كيف اندمج الزمن ثم كيف اتسع ، وبأعجوبة كبرى تستدعى الدهشة ، حتى حدث ما حدث كله ، ومكان رسول الله في نومه ببيته لا يزال دافئًا ، وكما تروي أم المؤمنين عائشة ؟

ب ـ كيف تم معراجه ، وبعد الإسراء ، وبتفاصيل هذه الوقائع ؟

جـ ـ كيف صلى بالأنبياء ، مع أن الصلاة المعـهودة ، لم تعرف قبل هذا المعراج أبدًا؟

د ـ أي لغة تـلك التي كانت وسـيلة إبلاغ أو تبليغ أو استـفسار فـي هذا الحدث الخطير.

جـ ـ ماذا تعني مشاهدات المصطفى لبعض أهل الجنة والنار حينئذ ؟

و ـ مـا نوع الخـواطر التي مـرت برسـول الله ، وهو بين يدي ربه ، يحـادثه ، ويكلمه ، ويكرّمه .

ل ـ ولم كان « موسى » الوسيط بين « محـمد » وربه ، من أجل التخفيف حين فرضت الصـلاة ؟ أليست هذه الاسـتفـسارات تستـأهل الوقوف عندها ، لـلتأمل ، وللدرس وللاستنتاج ؟ .

ودعونا نطرحها ، ودعونا نقرر أن هذا الحدث الكبير كان معجزة معجزات رسول

الله ، وأن هذا الحدث العظيم قد جرى تكريمًا لرسول الله ، وباعتباره نبيّ الحياء ، كما كان نبيّ الرحمة أيضا ، وكما كان صفوة الصفوة في أنبياء الله بل أفضلهم ، وأعظمهم ، وبالنصر القرآني المحكم .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا . يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٤١ ، ٤٢] .

نقول وبعد طول تأمل : إن أسرار الإسراء والمعراج ، ستبقى سرًا بين محمد وربه وجبريل وفي هذا وحده كل التكريم لنبيه المصطفى صاحب الأفضلية ، والمنزلة الكبرى بين سائر الأنبياء والرسل عليهم صلاة الله وسلامه ، وسيبقى تخصيصه لهذه الأسرار ، أو اختصاصه بها ، دليل الدليل على علوّ شأنه ، وسمو مكانته عند ربه .

أ ـ إن الوقوف عند أول جملة في سورة الإسراء ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١] تؤكد صدق ما استنتجنا وما قررنا ، ثم تأتي جملة ثانية لتحدد ذلك الهدف عن رحلة المعجزات ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ خير شاهد على أنها لم تكن تسرية بل كانت إشادة وتكريما ، ثم تختتم الآية الكريمة بذكر صفتين تشيعان الطمأنينة في النفس حين تبحث عن الدواعي والأسباب في الإحاطة بكل شيء ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فمنهجية الله تنبع من قدرته ، واقتداره وحكمته ، وهل كان الإسراء والمعراج إلا مظهرا لهذه القدرة ، ودليلا أكيدًا على التحكم والاقتدار ، ويا سبحان الله ،فلقد أكرم الله محمدا ﷺ باعتباره ضيفا ونبيًا وحبيبًا .

وحسبه أن يكون إمام الأنبياء .

وحسبه أن يكون كليما كموسى .

٤ ـ وحسبه أن يشاهد ما لم يشاهده نبي أو رسول ، أو ملك من الملائكة المقربين. إنها مشاهدات تلفت النظر إلى العبرة ، والدرس ، والعظة الأكيدة .

أ ـ فهؤلاء يزرعون ويحصدون في يوم واحد . . « إنهم أهل الخير والرحمة والبر» .

ب ـ وهؤلاء يأكلون النار ويكتوون بسعارها ولهيبها ، « إنهم أكلوا في الدنيا مال اليتامى ».

جـ ـ وهؤلاء تقـرض ألسنتهم بمقارض مـن نار جهنم ، « إنهم الدعـاة الضالون المضللون » .

مشاهد شتى ، توقظ الحسّ ، وتحيي البصر ، وتهدي سواء السبيل .

ترى : هل سكت عن ذكر مشاهد أخرى ، لحكمة أو لأمر الله مثلا ؟ « كله كما يقولون وارد » ولكنه يـندرج تحت بند معجـزة من معجـزات المصطفى ﷺ [الإسراء والمعراج] .

٥ ـ وأصيب أهل مكة [بالعمى والصمم] وهم يشكّون في صدق رسول الله ، وكيف ننتظر منهم تصديقًا ؟ إنها رحلة يبلغونها في شهر أو شهور ، فكيف تقع لهذا النبيّ في وقت محدود ؟ لقد رفع الله بيت المقدس ، ووضـعه في موقع النظر والبصر للنبي ليصف لهم كل شيء فيـه وبدقة بالغة ، ثم يبالغ في تحديه لهم حـينما يحدثهم عن عيرٍ لهم في طريق عـودتها إلى مكة ،ويصدق فيما قـال لهم ، ويظلون جاحدين ومكابرين ومكذبين !!

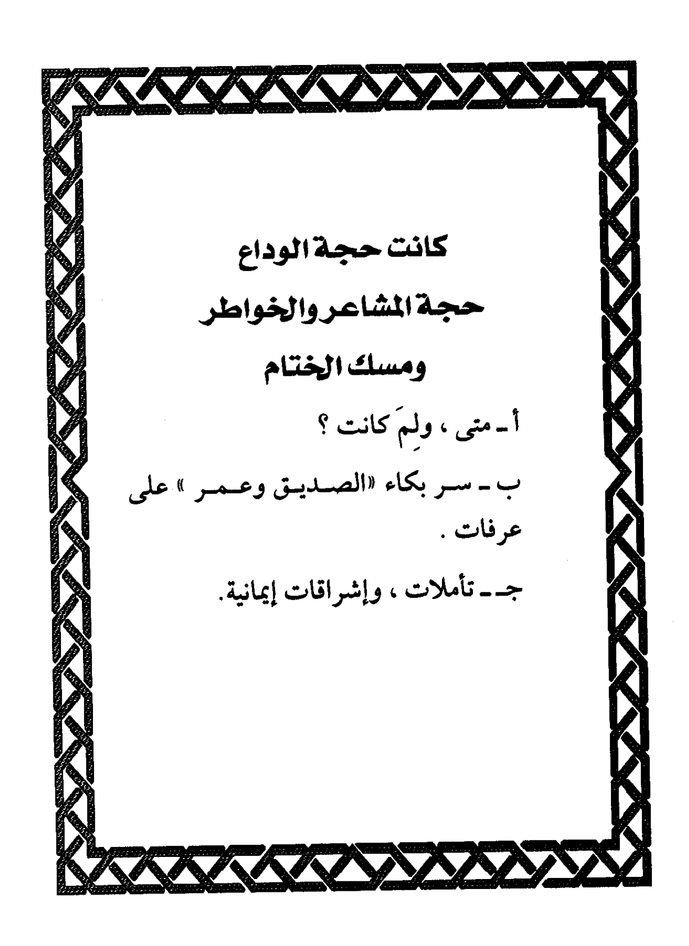
٦ ـ ويسألون « أبا بكر الصـديق » وفي استنكار ، هل سمـعت ما قال محـمد؟ ويجيبهم : وماذا قال ؟ فيـقولون ـ ساخرين ـ يقول : إنه قد أسري به من مكة ـ إلى بيت المقدس ، ثم عرج به وشاهد ما شاهد؟!

ويأتيهم رد أبي بكر : إن كان قد قال هذا فهو صادق .

انظروا إلى منطق الرجل واستـدلاله وحكمه ، وحتى تدركوا منزلـته لدى رسول الله ﷺ ، إنه ليـصـدقه فـي كل ما يقـول ، وبدون حـاجـة إلى دليل أو شـاهد أو برهان. أفلا يستحق ثناء النبيّ عليه ، ودعاه له ؟

« لو كنت مـتخـذ أحدًا خليـلاً لاتخـذت أبا بكر خليلا ، الـلهم اجعله مـعي في درجتي من الجنة » وينادى رسول الله : **« لقد استجيب لك »** .

٧ ـ وتبقى مـعجزة الإسـراء والمعراج ذروة المعجـزات الخالدات ، وستـبقى بكل أسرارها طيّ الكتمان [ويا سبحان الله] .



كانت حجة الوداع
حجة المشاعر والخواطر
ومسك الختام

أ - متى ، ولِمَ كانت ؟

ب - سر بكاء «الصديق وعمر» على عرفات .

جـ - تأملات ، وإشراقات إيمانية.

وكانت حجة الوداع

حينما أوشكت الدعوة أن تبلغ غايتها ، وأن تصل إلى مستهدفاتها ، وبعد فتح مكة ، بعامين تقريبًا ، كان لابدّ من التركيز على أساسياتها ، وحتى تستقر وتثمر وتعطي . . ومن هنا كانت مراجعات جبريل عليه السلام ، مع المصطفى للقرآن الكريم ، ثم كانت حجة الوداع ، ليأخذ المسلمون مناسك الحج عن شخص رسول الله ﷺ ، وقبل أن يلحق بالرفيق الأعلى .

على أن مراجع السيرة تؤكد على ما يلي :

أ ـ مع شدة حبّ المصطفى لمكة ، فإنه لم يمكث بها ، عندما تمّ له فتحها سوى خمسة عشر يومًا فقط ، وغادرها عائدا إلى المدينة ، دار هجرته ومناصرته ، وتأييده، ثم كانت حجة وداعه ، وحتى يكحّل عينيه بنورها ، فهي في خاطره أحبّ بلاد الله إلى الله ، وأحبّها إلى نفسه .

ب ـ عاد إليها ووسط موجة حبّ وإعزاز من آلاف الآلاف ، من صحابته ، ومحبيه ، وأنصاره ، وعلى عرفات ، وفي يوم الجمعة في العام العاشر من الهجرة، خطب خطبة الوداع ، وإبراءً للذمة ، وإقرارًا بأدائه الأمانة ، كان يسأل الحاضرين: **«ألا هل بلغت؟»** فيقولون: نعم يا رسول الله ، فيشهد الله قائلا : **«اللهم فاشهد»** .

جـ ـ حدّد المصطفى في خطبته الجامعة معالم الدعوة ، وأسس منهج الإسلام وأصول العقيدة:

أ ـ الشهادة لله بالواحدانية ، ولرسوله بالنبوة ، جوهر الدين كله .

ب ـ المساواة بين الناس جميعا ، فلا فضل لأبيض على أسود ، ولا لعربي على أعجمي أبدًا .

جـ ـ التقوى هي معيار التفاضل الوحيد بين البشر ، ولا معيار سواها .

د ـ العدل ركيزة وأساس متين ، ولا بديل له إطلاقًا .

هـ - الظلم ظلمات ، والله يرفضه ويأباه ، ولذا فقد حرّمه على نفسه ، وجعله بين الناس حراما .

و - « استوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن خلقن من ضلع أعوج ، فإذا قوّمته كسرته . . . » .

ز - كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه . . إلخ ، إلخ .

د - وفي خضم أحداث هذا اليوم الطاهر والمشهود ، نزل جبريل عليه السلام ، بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وطالب رسول الله بعض صحابته بقراءتها وتلاوتها على جموع الحاضرين ، وهنا انزوى الصديق بعيدا عن الناس ، واستغرق في بكاء حزين أليم.

وجاء « عمر » مسرعًا ليعرف دواعي بكاء أبي بكر ، والذي قال له : يا ابن الخطاب ، ثم بعد الإكمال والإتمام ؟ ففهم « عمر بن الخطاب » الفاروق وغلبته دموعه هو الآخر !!.

هـ - انظروا كيف كان حرصه على إبراء ذمته ، وبشهادة آلاف الآلاف يومئذ ، ودلالة هذا كله ؟ إن الرسول يحدد أركان دين الله الخاتم ، ويشهد الله على نهوضه بالرسالة ، وإبلاغها كما أراد الله.

هل كانت مشاعره يومها ولحظتها ، نفس مشاعر خليله وصديقه ؟

وهل يمكن أن عن دلالات الإكمال والإتمام مثلا ؟

و - نحن نرى في إصراره على شهادة الناس بأداء الرسالة بصرا واعيا وأكيدا بهذه الدلالات، ولكنه الإشفاق منه على أصحابه ومحبيه وأنصاره ، أو ليس هو نبيّ الرحمة والحنوّ والودّ الرقيق ؟ وصلى الله عليه في حياته ، وصلى الله عليه في مماته، وصلى الله عليه في كل وقت وحين .

ز - أغفل كتّاب السيرة المحمدية الحديث عن هذه المشاعر ، وهذه الدلالات أو

الإيحاءات ، ربما لأنهم أطـالوا الحديث عن خطبة الوداع ، علـى حساب تبـيان هذه المشاعر ، مع أهميـتها وأهمية عطائها ، أو لأنهم شغلوا أنفســهم بمشاعر « الصديق » على حساب مشاعر حبيبه المصطفى ، وهذه مجرد فروض أو استنتاج .

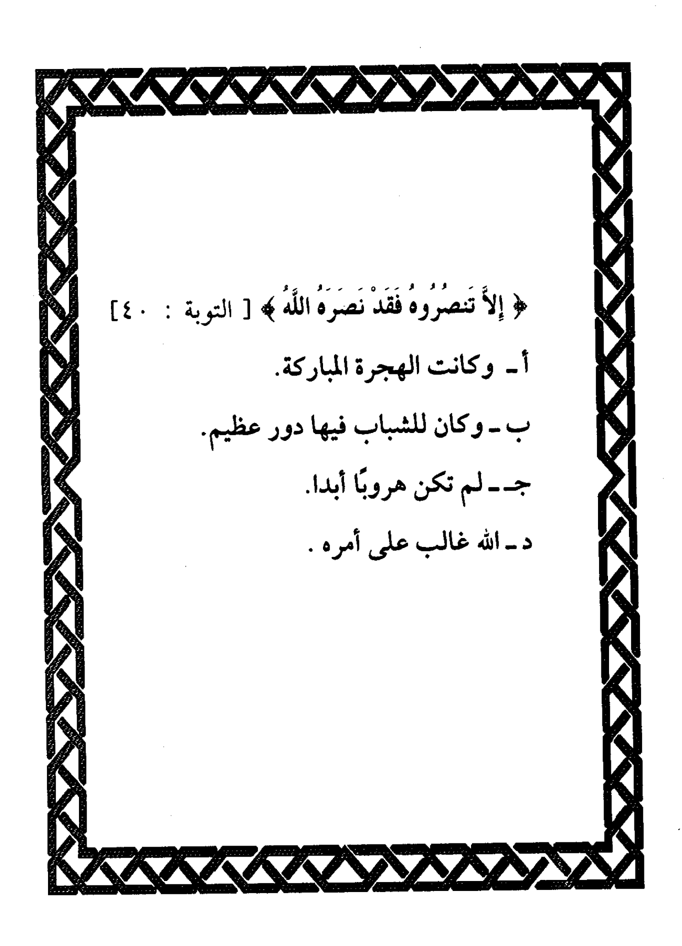
ويبقـى سؤال هام ، وقبل أن نطوي صـفحة « حـجة الوداع » وبما تسـتدعي من دراسة ، وفهم ،وتأمل ،تُرى ماذا كانت مشاعر وخواطر المصطفى ، وهو يستمع إلى جبريل ، وقد جاءه بقول ربه : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ ؟ .

١ ـ نحن لا نشكك أبدًا في أنها كـانت مشاعر الراحة بعـد العناء ، والمثوبة بعد البذل والـعطاء ، ثم إنها تعني لقـاء الله ، وهو لقاء مـحبب يتـمناه . . أو ليس هو القائل : « **من أحبّ لقـاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كـره لقاء الله كـره الله لقاءه** » وهل هناك حب يتسامى حتى يبلغ مقـدار حبّ رسول الله ، أو مداه؟ إنه اللقاء بمن اختاره خاتم الأنبيـاء .وإمامهم ، وإنه اللقـاء بمن وعده بالدرجة والمكانة العاليـة ، إنه اللقاء بمن جعله شـهيدا على الشاهدين جـميعا وإنـه اللقاء بمن جعل له الشفـاعة ، فكيف تغيب هذه الدلالات لحظة واحدة مثلا ؟

٢ ـ نقول : وقـد تكون مشاعر الإشـفاق على صحـابته ومحبـيه ، أو ليس هو الرحمـة ، والألفة ، والمودة والحنو ؟ ربما كـابد رسول الله الكثـير من هذه المشـاعر والخواطر ، حـيث استقـبل نزول هذه الآية في حجة الوداع ، ولكنه ظل الصـامد ، والصابر ، والقائد الحكيم والحليم ، والرحيم . . . حتى جاء اليقين .

٣ ـ وليستـقر قضاء الله فـيه ، ولتهتـز الأرض بمن عليها ، حتى يقـول عمر بن الخطاب : من قال « إن محـمدا مات قطعت رأسه بسيفي » وليـبدو « الصّديق » نعم الخليفة لرسول الله ، وفي ذروة التماسك أمام زلزال موت صديقه ، وحبيبه وخليله، وليردّد على المسلمين قول الله تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وحتى يقـول : « عمر » كأني لم أسمع هذه الآية من قبل .

٤ ـ وتشرق الشمـس من جديد ، ويتابع موكب الإسـلام سيره ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويا سبحان الله .



﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٤٠]

أ ـ وكانت الهجرة المباركة.

ب ـ وكان للشباب فيها دور عظيم.

جـ ـ لم تكن هروبًا أبدا.

د ـ الله غالب على أمره .

﴿ إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾

أ ـ ولقد ظنّ كـثيـرمن الناس أنّ إسلام البطلين ، ربما أدّى إلى تخـفيف مـعاناة المستـضعفين المسلمين ، ولكن سار ظنهـم في طريق غير طريق فكر عتـاة الطغاة من أهل مكة ، فلقـد أجـمـعـوا أمـرهم ـ هذه المرة ـ على أن يحـيطوا بيت رسـول الله بمجموعة من شبان أقوياء ، يمثلون جمـوع القبائل ، فإذا ما خرج ضربوه ضربة رجل واحد حتى يتفرق دمه ، ويعجز أهله عن طلب الثأر له.

ب ـ وأذن الخالق للنبيّ في الهـجرة ، بعد أن طفح كـيل المظالم ، وبعد أن بلغ أذاهم مداه !! فلم تعـد مكة مكة ، بل أصبحت نارا تحرق ، وضـررا يكوى ، وشرًا مستطيـرًا ، وجحيمًا لا يطاق ولا يحتمـل !!! وهاجر الضعفاء مستـخفين ، وهاجر «عمر » جهارا نهارا وعلنا ، ومناوئا ومتحديًا ، وينادي عتاة مكة [من أراد أن تثكله أمـه ، أو ييتم ولده ، فـليتـبعـني وراء هذا الوادي ، فإني مـهـاجر مع رسـول الله وصحـبه] ونـزل به ما نزل بغـيره ، وارتأى هو في هذا التـصرف مـساواة مع سـائر الضعفاء في تحمل المحن والشدائد .

جـ ـ وجرت وقـائع الهجرة المحـمدية المباركـة ، وفق ما رسمت المقـادير ، وما خطط له الرسول والصـدّيق بنجاح ، وهي وقائع باتت مـعروفة مكرورة محـفوظة ، نتخطاها إلى ما نودّ أن نلفت إليه في درس هذه الهجرة التي نزل بها كلام الله:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

د ـ ردد هذه الآية الكريمة ، وتأمل مـضمـونهـا ، وحتى تدرك بنفـسك أن هذه الهـجرة كانـت ـ وبالنص القرآني ـ نصـرًا من الله مؤزرًا ، وأنّ الله قـد أنزل السكينة والطمأنـينة على رسول الله ، وأحـاطه بمدد من جنود لم يرها أحد غـيره ، فـاطمأن واطمأن معه صـاحبه ، هذا الصاحب الذي كان يعتـصره الخوف على نبيّ الله ، وهو

خلف هذا كله محاط بحزن أليم خشـية أن ينزل بالمصطفى مكروه أو تهديد من أعداء الدين .

هـ ـ انظر إلى معيّة الله الحافظ والساتر ، وكـيف تحوّلت سكينة مهدئة مطمئنة ، بها يرتفع ذكر الله ، وبها يهوى كل وعيد أو تهديد من أعداء الدين .

و ـ ثم قف عند نهاية الآية ، وتـأمل سرّ اختيـار صفتي « العـزة ، والحكمة لله رب العالمين ، وحتى تربطهما بحادث الهجرة ، وبكل المحاذير والأخطار ، والأهوال العظام.

ز ـ لم تكن الهجرة هروبا ، ولكنها تعديل مـسار ، وتصويب اتجاه ، وتصحيح موقف ، واستبدال موقع بموقع ، حتى تزدهر الدعوة وتثمر ، وتعطي بلا حدود .

إن مكة قد جفّ ضرعها ، وغاض ماؤها ، وشحت أرضها ، وبخلت سماؤها، فلتكن الهجرة باب إنقـاذ ورحمة ، وحسبها من فضـل أن تفسح بسخاء ، وأن تعطي بلا منّ ولا أذى ، وأن تترك للشبـاب فيها دورًا ، هو درس الدروس ، وعبـرة العبر والعظات .

وجسـد دور الشبـاب ثلاثة : على رأسـهم « عليّ بن أبي طالب » هذا البطل العظيم في شبابه وإيمانه وتديّنه .

أ ـ فلقد جازف بحـياته ، لتبقى حياة رسـول الله إذ نام مكان المصطفى ،خدعة لمن ينتظرون يقظة النائم ، وخروجـه من باب داره ، وخسؤوا فلقـد خرج رسول في أمان ، متجهـا للغار ، وبعد أن وضع على رؤوس المنتظرين المسلّحين التراب ، وهو يتلو آيات من مطلـع سورة «يس» فـراحـوا في نوم عمـيق بينمـا واصل هو رحلتـه وصاحبه، إلى أرض العطاء ، والجود ، والسخاء والأمان .

ب ـ نام علي مكان المصطفى ، ونجحت الحـيلة ، وسلم رسول الله ، وسلِم من افتداه ، وظل بمكة حتى ردّ الأمانات إلى أهلها .

جـ ـ ولقـد كان لأسمـاء بنت أبي بكر الصـديق ، ولأخيـها عبـد الله ، الدور

الحيوي والهام في نجاح الهجرة ، فكانت ذات النطاقين مسؤولة عن مدد « الماء والزاد» للصاحـبين كما كـان أخوها الشاب عـبد الله مســؤولا عن مدد « الأنباء والأخـبار » بالنسبة للمهاجرين اللذين يطاردان من كبار الطغاة . . ولقد أوذيت « أسماء » وظلت صامتـة تحفظ السر وترعاه ، كمـا ظلّ عبد الله الكتوم الصابر الصـبور ، وهكذا كان للشباب دوره في حادث الهجـرة المباركة ، وأراد الله أن يكون لبيت الصديق أبي بكر فضل نجـاح الهجـرة ووصولها إلى مـا أراد الله أن تصل إليه ، وصـدق نصر الله ، صدق الله العزيز الحكيم .

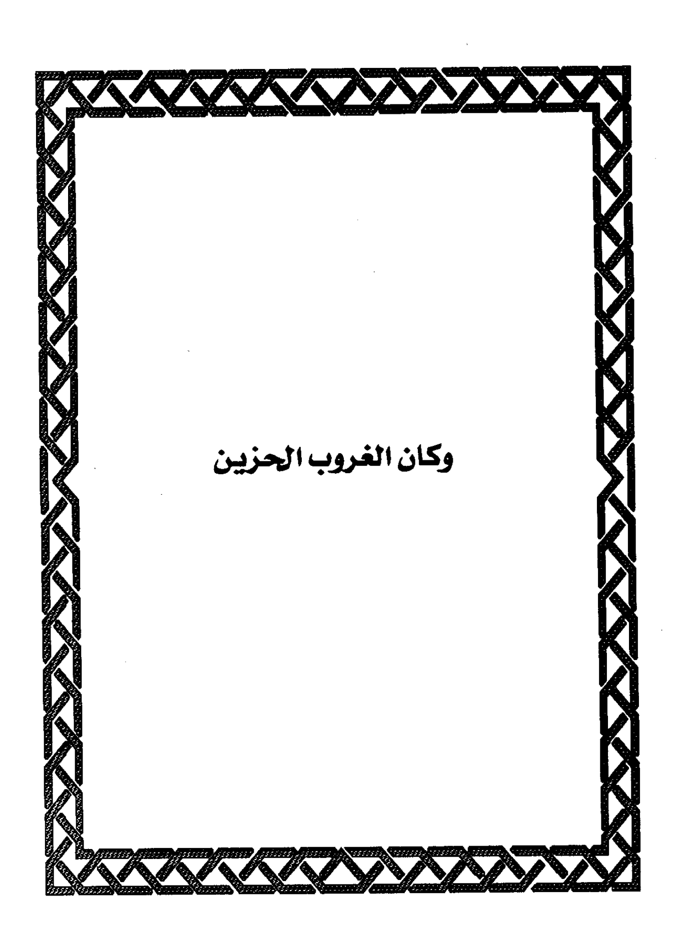
وبعد:

فلعلنا قد نجحنا في تجسيد دور الشبـاب لإنجاح الرحلة الميمونة ، رحلة الصاحبين المهاجرين إلى المدينة التي سعدت بوصولهما بسلام .

ولعلنا قد أوضحنا بجلاء تام أن الهجرة كـانت نصرا من الله ، محاطا بسكينته، وبمدد الحفظة والملائكة .

ولعلنا قد أدركـنا السرّ في اختـتام آية الهجـرة بصفتين عظيـمتين للخـالق المبدع صاحب الفضل بهما تخطى المصطفى كل مخاطر الهجرة المباركة.

وبهمـا كانت كلمة الذين كفـروا السفلى ، وكلمة الله هي العليـا ، والله غالب على أمره دوما وهو اللطيف الخبير .



وكان الغروب الحزين

وغربت الشمس أو آذنت بالمغيب

١ ـ قليلون هم الذين أدركوا قرب النهاية المميت ، بعد حجة الوداع ، في العام العاشر الهجري ، وكان على رأس هؤلاء « الصديق أبو بكر » الذي انتحى ناحية بعيدة من جبل عرفات ، وترك لدموعه وأساه الحبل على الغارب . . . الأمر الذي انتبه إليه الفاروق عمر فسأله: وما يبكيك « يا أبا بكر » فأجابه ، وهل بعد التمام والكمال الديني شيء غير لقاء الله يا عمر ؟ [يشير إلى آية المائدة التي نزلت حينئذ على رسول الله] وهنا بكى « عمر » بكاءا مرًا . . ولِمَ لا ؟ إن صحابة رسول الله، تربطهم به رابطة حبّ وإعزاز وودٍ لا يخفى ، فكيف لا يبكي الرجلان ؟

عاد المصطفى ﷺ من حجة الوداع ،ليفاجأ بتحركات عدائية مصدرها ثقيف والطائف وهوازن ، ومن انضم إليهم . . . وسرعان ما اتخذ قرار مبادرتهم ، واتجه إليهم ـ وعلى عجل ـ وكان ما كان في هذا اللقاء الرهيب ، والذي يمكن اعتباره «يوم محمد » البطل الشجاع ، والقائد الكبير . . . [عد إلى تفاصيله في المحور الأول من الكتاب].

ولم يكن رسول الله يصل إلى المدينة بعد أن أحال هزيمة المسلمين يومئذ ، إلى نصر مبين ، حتى تناوبته الحمى ، فلزم فراشه في بيت عائشة ، وبرضاء جميع أمهات المؤمنين.

تقول كتب السيرة العطرة : إن رسول الله تابع وهو مريض ، تجميع جيش كبير أمرّ عليه شابا ، هو « أسامة بن زيد » لتأمين حدود الدولة الإسلامية ، وإن بعض الصحابة قد تساءل في دهشة:

كيف يكون هذا الشاب على رأس جيش يضم القادة الكبار ، من مثل « سعد بن أبي وقاص » « وعمرو بن العاص » « وخالد بن الوليد » . . . بل كان يضم أعظم رجلين في صحابة رسول الله وهما « أبو بكر الصديق » « وعمر بن الخطاب » .

وتساءل آخرون : هل كان الأمر كله درسًا في الطاعة ؟ قد يكون ، وقد لا

يكون ، ولكن هذا الذي نقصه ونحكيه ، قد حدث فعلا ، وإن احتاج إلى تفسير أو تبيان . . وبدأت تجمعات الجيش خارج المدينة ، وظل بها حينئذ لم يبرحها ، لأن المرض قد اشتد ؛ ولأن الأخبار جاءت من هنا وهناك ، بأنباء المرتدين ، ومانعي الزكاة ، بل ومدعي النبوة ، وكان من رأي كثيرين أن يبقى جيش أسامة ، لتأمين قلب الدولة الإسلامية وقبل حدودها .

في هذا الجو المشحون بالقيل والقال ، والمعبأ بسحب داكنة مصدرها الفزع والهلع والمرارة ، بسبب شدة معاناة المصطفى ، وما يشاع عن مضاعفات للحمى ، كانت تعتريه بين الحين والحين ، فتفقده الوعي ، وبات الجميع مهيأ لاستقبال الفراق الأليم. ووقف بلال بن رباح ، مؤذن المصطفى أمام بيت عائشة ينادي كعادته عند كل صلاة: الصلاة جامعة ، الصلاة يا رسول الله . . وأشار رسول الله لعائشة فجاءته ومعها «حفصة بنت عمر » قائلا بصوت هامس :«**مري أبا بكر ، فليصل بالناس**» . . ولم تتحرك ولم تبلغ ،وتكرر نداء بلال ، وتكرر مطلب رسول الله من أم المؤمنين عائشة، وهنا وأمام أبلغت أباها ، فكبّر تكبيرة الإحرام بالمصلين ، وظهرت سعادة غامرة تنير وجه رسول الله ، فأشار إلى علي بن أبي طالب ، ليتحامل عليه مع صحابي آخر، حتى يكحّل عينيه بمشهد صلاة المؤمنين في غيابه ، وبإمامة الصديق.

وتحمل المصطفى ما تحمل ، حتى يرى هذا المشهد العظيم ، وما إن رآه أبو بكر، حتى هم بالرجوع إلى الخلف ، ليؤم الرسول الناس كعادته وعادتهم ، ولكنه أشار إليه بالبقاء ، وإكمال الصلاة ، ثم أدى الصلاة جالسا من شدة المرض خلف أبي بكر رضي الله عنه .

تُرى : هل كان هذا هو الآخر درس الطاعة ، أم درس الاستخلاف؟ العلم كله عند الله . . فقد يكون هذا ، وقد يكون ذاك ، وقد لا يكون هذا ولا ذاك أيضا. ولم تطل فترة مرضه ، وإن كانت الحمى قد تمكنت منه ، ولكنه ظل المشغول بجيش أسامة يسأل ويستفسر حتى يطمئن .

انظروا كيف يكون النهوض بالتبعة والمسؤولية ؟ إنها الأمانة المحمدية ، وفي أروع

صورها . . المصطفى يصارع المرض ، وفي نفس اللحظة مشـدود بأعباء القيادة وردود أفعالها ، وإنه لدرس عظيم .

وسكت البلبل الصّـداح عن الشدو والغناء ، وهبطت الـشمس من عليـائها ،أو آذنت بمغيب حـزين ، ومات رسـول الله . . . وانفجر بركـان اللوعة ، والحـسرة ، والحزن الأليم ، وصدّق من صدّق ، وكذّب من كذّب ، حتى أمسك «الفاروق عمر» بسيفه ، وهو يقـول متوعدا ومهددا : من قال: إن محمـدا قد مات ، قطعت رأسه بسيفي هذا.

وحملت الأنباء إلى ابن الخطاب ، خبـرًا بتجمعات الأنصار في السقيـفة لاختيار خليفة ، وأرسل إلى « الصديق » ليلحق به هناك ، وقـبل اشتعال الفتن . . . والتقى الرجلان في مدخلها ، وإن جاء كل منهما وحده ، ومن طريق مغاير .

هناك في السقيفة دار جدال عنيف ، وسارع عـمر ليبايع « أبا عبيدة بن الجراح » أمين الأمة فرّد عليه معاتبا:

« وكيف وفـينا « أبو بكر الصديق » برصـيد إيمانه وسـبقه وحـبّ الرسول له ؟ واستدار الفـاروق لينادي « أبا بكر » كي يمدّ يده ليبايعه ، وتمـت المبايعة وسط ذهول من حاولوا إشعال فتنة ، في هذا اليوم الكريه ، والطويل ، والثقيل ،والبطيء.

وعاد أبو بكر مـسرعا إلى بيت عائشـة، وكشف عن وجه المصطفى وقـبّله قائلا وهو يبكي : طبت حـيا وميتـا يا رسول الله ، ثم غطى وجـهه الشريف ، ليـبدأ مع «عليّ ابن أبي طالب » إجراءات الغسل ، والصلاة ، والدفن .

وصعد منبـر رسول الله ليقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

يقول عـمر بن الخطاب رضي الله عنه : « والذي نفـسي بيده ، كـأني لم أسمع الآية من قبل» وهكذا مـات رسول الله ، ليبـقى في إيمان المؤمنين ، ذوي الصلابة ، والصبر . علمًا على الجلال والكمال ، والتمام .

وليردد التاريخ مـا قال خليله ، وحبيبه ، وصـديقه أبو بكر ، في أول خطبة له بعد استخلافه ، ولعل حكام المسلمين يعون ، ويفهمون .

« أيها الناس : لقد وليت عليكم ، ولست بخيركم . . فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أخطأت فسـددوني ، الضعيف فـيكم قويّ عندي حـتى أرد عليه حقـه، والقويّ فيكم ضعيف عندي ، حتى آخذ منـه الحق . . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم » .

أرأيتم نموذجًا رائعا رائدًا للحكام ، كأبي بكر ؟ هل هناك شـبيه في عالمنا اليوم؟ انظروا كـيف يتواضع ، فـهو بلا فضـل ، وهناك الأفضل ، والأولى ، والأخـير . وتفهموا مستهدفاته ، وهو يطلب منهم العون والسداد .

وقفوا وقفته من الضعـيف ، ومن القويّ على السواء ، ثم رددوا معه ما قال عن حدود الطاعة والمعصية ، واسـألوا الله معي ، ولي ،ولكم ، بفضل القبول والسداد، ونعيم الستر.

❋ ❋ ❋

الفهــرس

الموضوع | الصفحة